بسم الله الرحمن الرحيم

المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

ثقافة التقريب

مجلة ثقافية شهرية تصدر عن المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

العدد ٤١ ـ شوال ١٤٣١هجرية قمرية

مهر ١٣٨٩هجرية شمسية / اكتوبر (تشرين الاول) ٢٠١٠

- الآراء الواردة لا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر المجمع العالمي للتقريب
- تسلسل الموضوعات خاضع لاعتبارات فنية

المراسلات:

فاكس: ٨٨٣٢١٦١٦٩٨٢١ + هاتف: ٨٨٣٢١٤١١ ٩٨٢١ +

العنوان البريدي للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية:

الجمهورية الإسلامية في إيران – طهران – ص. ب: ٦٩٩٥ـ١٥٨٧٥

العنوان الالكتروني:info@taghrib.ir

الموقـــع: www.taghrib.ir

ثقافة التقريب

ملحق

رسالة التقريب

مجلة تثقيفية عامة تهتمّ بعرض الأفكار التي ترتبط بوحدة الأمة مباشرة أو بصورة غير مباشرة، مع التأكيد على ضرورة وضع المسلمين أمام مسؤولياتهم الكبرى في استعادة العزّة والكرامة واستئناف البناء الحضاري

الإشراف العام

الشيخ محمد علي التسخيري

هيئة التحرير

مجموعة من الكتّاب الرساليين المهتمين بمستقبل الأمة الإسلامية وبوحدة الدائرة الحضارية للعالم الإسلامي

إعداد المجلة:

مركز الدراسات الثقافية الإيرانية العربية

www.iranarab.com

منهجنا في نشر المقالات

١ـ أن يكون المقال ما قلّ في الصفحات ودلّ على فكرة مفيدة في حقل التقريب وصحوة الأمة ووحدتها.

٢ـ للمجلة الحقّ في التلخيص وتعديل العبارات، دون أي مساس في المحتوى، كي يكون المقال منسجمًا مع الإطار العام للمجلة.

٣ـ يحقّ للكاتب أن يطلب عدم ذكر اسمه، وهيئة التحرير سوف تنشر مقالاتها دون ذكر كاتبيها تجنبًا لتكرار الأسماء.

٤ ـ ننشر أيضًا مختارات وعصارات مما كُتب في تراث التقريب.

٥ ـ المقالات والتعليقات التي تعارض هدف المجلّة سوف ننشرها أيضًا إذا كانت ملتزمة بأدب الاختلاف، مع الاحتفاظ بحقّنا في التعليق.

المحتوى

العدد ٤١

وقفات عند فكر الإمام الخامنئي ٤

الإمام الخامنئي يفتي بحرمة الاستفزاز الطائفي ٩

حروف مجنّحة ١٧

السيد محسن الأمين عَلَم التقريب ٢٦

الشهيد مطهّري وإحياء الفكر الإسلامي ٣٥

فنّ الخطبة لدى الشهيد محمد باقر الصدر ٥٥

مجمع البيان نموذج للمنهج التقريبي في التفسير ٦٦

من أفكار الشيخ محمد الغزالي في دستور الوحدة الإسلامية ٧٦

دوشنبه عاصمة الثقافة الإسلامية ١٤٣١هـ/٢٠١٠هـ ٩٦

التجديد في خطاب الوحدة.. ضرورة إسلامية ١٠٧

المدير العام للايسيسكو: مستقبل العالم مرهون بتحسين الغرب علاقاته مع العالم الإسلامي ١١٢

وقفات عند فكر
الإمام الخامنئي

توجيهات هامة للشباب

في حديث للسيد الإمام القائد أمام جمع غفير من شباب «**مجاهدي التعبئة من أجل البناء**» إشارات هامّة إلى قضايا الشباب والتربية، وأثر التربية النفسية على المواقف العملية نقف عند بعضها.

بداية نشير إلى مفردات الاسم الذي تحمله هذه الجموع من الشباب: «جهاد» «تعبئة» «بناء».

ففيه دلالات واضحة على أن الجهاد معنى شامل لكل حركة نحو الله، ولا يقتصر على الجهاد المسلح، بل البناء هو جهاد مادام في سبيل الله، ثم إن الجهاد من أجل البناء يحتاج إلى تعبئة الطاقات وتنظيمها وهدايتها الوجهة المطلوبة تحت إشراف إدارة مركزية كي يؤتي هذا الجهاد ثماره المطلوبة.

هذا ما يحتاجه شباب العالم الإسلامي في كل مكان، إذ إن تجاوز حالة التخلّف تحتاج إلى شباب مجاهدين معبّأين ضمن برنامج بناء شامل للحياة في جميع جوانبها.

أعود إلى حديث السيد القائد لهؤلاء الشباب.

فرصة العمر

نبّه سماحته الشباب المجاهد العامل إلى أنّ هذه الفرصة التي توفّرت لهم في سنين الشباب هي فرصة يغبطها عليهم كل من مرّ شبابه ولم تُتح له مثل هذه الفرصة.

وقارن بينهم وبين الشباب الضائع في أرجاء الدنيا وقال:

«يوجد في العالم شباب في سنّكم يعيشون في عبث ويقضون هذه السنين الثمينة من العمر في أوهام، في البلدان المتقدمة ماديًا تعيش قطاعات واسعة من الشباب في حالة يأس وكآبة وعبثية تغطّي على جمال حياة الشباب. أهدافهم لا تتجاوز الصغائر من الأمور والتافه من المتطلبات المادية.. لا يفهمون معنى الجمال المعنوي واللذة الروحية التي يحملها الشاب المؤمن العاشق المتحرك نحو مبدأ العشق والجمال والحقيقة.

فاعرفوا قدر هذه النعمة التي توفّرت لكم في هذه الفرصة من العمر.. واعلموا أن أي بلد توفّرت فيه هذه الطاقات البشرية المؤمنة المتحركة سيستطيع أن يرتقي قمم المجد والعزّة والعظمة.. وهذا هو المستقبل الحتمي الذي ينتظر بلدنا وشعبنا».

التعبئة من أجل البناء ومخيمات الهجرة

أشار السيد القائد إلى ظاهرة التعبئة من أجل البناء ومخيمات الهجرة التي بدأ عملها الرسمي منذ عشر سنوات. وقال: «**لا بد من أن نعترف بفضل الشباب في هذه البادرة، فهم الذين أسسوها**

وقادوا مسيرتها حتى أصبحت حركة تلقائية شمّلت جميع شباب البلاد.. وكان الدافع وراء هذه الحركة: العشق والإيمان والبصيرة والهمّة.

بدون الايمان لا يمكن أن نتصوّر محورًا للحركة، وبدون مشاعر العشق لا يمكن استمرار المسيرة، وبدون الهمّة لا يتجه الطموح إلى اعتلاء القمم العالية، وبدون البصيرة يضلّ السائر طريقه، حتى ولو كان يحمل إيمانًا وعشقًا. من لا بصيرة له يستهلك إيمانه وعشقه على غير هدى.. يستهلكه في المتاهات».

الثورة أهدت لنا هذه الدوافع

قال سماحته: «ما نراه اليوم في شبابنا من عشق وإيمان وهمة وبصيرة إنما هو من ثمار هذه الحركة الالهية المتمثلة بالثورة الإسلامية. فهذه الحركة هي الشجرة الطيبة التي يشير إليها القرآن الكريم: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ هذه الشجرة ذات جذور ضاربة في أعماق الأرض وفروعها تطاول عنان السماء: ﴿ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء﴾ وثمار هذه الشجرة متواصلة حسب الفصول. وعطاؤها متواصل حسب ما يحتاجه المجتمع في ظروفه المختلفة: ﴿ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ . في فترة زمنية تتجلى الحاجة بحركة دفاعية داخل المجتمع، وفي فترة تتجلى بحركة دفاعية على حدود البلاد، وفي فترة أخرى تتجلى بالحركة العلمية والتقنية، ويومًا تظهر على

شكل حاجة لترسيخ الإيمان والعقيدة... وأمثالها من الخدمات التي تعدّ ثمارًا مختلفة متناسبة مع حاجة المجتمع».

الإفراز النفسي للمُحبَطين

حين ضرب السيد القائد مثلاً للثورة الإسلامية بأنها كشجرة طيبة مستمرة في عطائها وأُكُلها، أشار إلى أولئك الذين ينظرون إلى الثورة بأنها قد انتهت، قال: «**لقد أعلنوا بأن الثورة قد انتهت، والواقع أنهم هم قد انتهوا أنفسهم. هؤلاء هم الذين فرغوا من الداخل ولم يعودوا قادرين على مواصلة الطريق، هؤلاء يقيسون المجتمع والثورة على مقاسهم. لقد اشتبه الأمر عليهم لأنهم قطعوا ارتباطهم بالله، وحين يقطع الإنسان ارتباطه بالله سبحانه، فإنه يفقد قدرة معرفة نفسه، فما بالك بمعرفة مجتمعه ومثله العليا: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾.**

وكيف تنقطع العلاقة بالله؟ إنها النتيجة الحتمية للانشداد بالأهواء والمتطلبات المادية والحركة حول محور الذات. حين تغلب هذه الانشدادات على الأفراد وتستولي على وجودهم، فإنها تتحول إلى خيوط شرنقة على أرواحهم، وتحولهم إلى حشرة ضعيفة لا تستطيع أن ترى الواقع ولا تستطيع رؤية الجمال. حين تستولي الماديات على الروح يتجه الفرد إلى التافة والصغير من الأهداف.. إلى المال والمتاع والمنصب.. وينسى هدفه الكبير».

ثم استعرض السيد القائد عطاء حركة التبعئة من أجل البناء ومخيمات الهجرة، وأكد أن هذا العطاء لا يقتصر على إيران بل سيعمّ الأمة الإسلامية جمعاء وقال: «**إن الأمة الإسلامية أصيبت منذ قرون بحالة ركود، وحالة تخلّف، وحالة إحساس بالإحباط، وحالة تأخر عن ركب الحضارة.. لقد بدأت في إيران حركة لتجاوز هذه الحالات، لقد خطا الشعب الإيراني خطوة رحبة على هذا الطريق. من هنا يتبين لكم حساسيّة المرحلة التي نعيشها ويتبين لكم لماذا هذا الاصطفاف أمام حركة الشعب الإيراني، هذا الاصطفاف بدأ منذ بداية انتصار الثورة، لم يكن هذا العداء موجهًا للشعب الايراني إلاّ بسبب حركته الحضارية هذه.. بسبب عودته إلى الإسلام والقرآن باعتبارهما محرّك هذه المسيرة الإسلامية الحضارية.. غير أن كل محاولات الصد والإرعاب والارهاب لم تستطع أن تزلزل هذه المسيرة، بل أصبحت بفضل الله ومنّه أكثر ثباتًا وعطاءًا وعزمًا..**».

بمناسبة ضجة الاستفزاز الطائفي الأخيرة

الإمام الخامنئي يفتي
بحرمة الاستفزاز الطائفي

بعد الإساءة التي تعرضت لها السيدة عائشة (رض) والضجة الإعلامية التي أثارها التكفيريون ضد المذهب الشيعي , أفتى قائد الثورة الإسلامية في إيران السيد علي الخامنئي بحرمة النيل من رموز الإخوة السنة .

آية الله السيد علي الخامنئي قائد الثورة الإسلامية شدد عبر استفتاء تقدم به جمع من علماء ومثقفي الإحساء على حرمة النيل

من رموز أهل السنة , فضلاً عن اتهام زوجات النبي (صلى الله عليه وآله) بما يخل بشرفهن .

هذا التصريح جاء بعد الإثارة الإعلامية التي أثارها نكرة بتعرضه لأم المؤمنين عائشة (رض) ولبعض رموز أهل السنة.

نص الاستفتاء :

سماحة آية الله العظمى السيد علي الخامنئي الحسيني (دام ظله)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تمر الأمة الإسلامية بأزمة منهج يؤدي إلى أثارة الفتن بين أبناء المذاهب الإسلامية ، وعدم رعاية الأولويات لوحدة صف المسلمين، مما يكون منشأ لفتن داخلية وتشتيت الجهد الإسلامي في المسائل الحساسة والمصيرية ، ويؤدي إلى صرف النظر عن الانجازات التي تحققت على يد أبناء الأمة الإسلامية في فلسطين ولبنان والعراق وتركيا وإيران والدول الإسلامية ، ومن إفرازات هذا المنهج المتطرف طرح ما يوجب الإساءة إلى رموز ومقدسات أتباع الطائفة السنية الكريمة بصورة متعمدة ومكررة .

فما هو رأي سماحتكم في ما يطرح في بعض وسائل الإعلام من فضائيات وانترنت من قبل بعض المنتسبين إلى العلم من إهانة صريحة وتحقير بكلمات بذيئة ومسيئة لزوج الرسول صلى الله عليه وآله أم المؤمنين السيدة عائشة واتهامها بما يخل بالشرف

والكرامة لأزواج النبي أمهات المؤمنين رضوان الله تعالى عليهن.

لذا نرجو من سماحتكم التكرم ببيان الموقف الشرعي بوضوح لما سببته الإثارات المسيئة من اضطراب وسط المجتمع الإسلامي وخلق حالة من التوتر النفسي بين المسلمين من أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام وسائر المسلمين من المذاهب الإسلامية .

علمًا أن هذه الإساءات استغلت وبصورة منهجية من بعض المغرضين ومثيري الفتن في بعض الفضائيات والانترنت لتشويش وإرباك الساحة الإسلامية وإثارة الفتنة بين المسلمين .

ختاما دمتم عزًا وذخرًا للإسلام والمسلمين .

التوقيع

جمع من علماء ومثقفي الإحساء

نص فتوى آية الله العظمى السيد الخامنئي

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يحرم النيل من رموز إخواننا السنة فضلاً عن اتهام زوج النبي (صلى الله عليه وآله) بما يخل بشرفها بل هذا الأمر ممتنع على نساء الأنبياء وخصوصًا سيدهم الرسول الأعظم(صلّى الله عليه وآله). موفقين لكل خير .

بمناسبة ضجة الاستفزاز الطائفي الأخيرة

مؤامرات الإثارة الطائفية

لا نود أن ندخل في طوارئ ساحة عالمنا الإسلامي لأنها تعبر غالبا عن الواقع المر الذي يعيشه المسلمون بكل ما فيه من ذل وهوان وتمزق وضعف وضياع، وهدفنا التطلع إلى المستقبل لا تكريس الواقع القائم. لكن الذي حدث قبل أعوام في مرقد الإمام الرضا ـ عليه السلام ـ من انفجار مروع ذهب ضحيته عشرات الأبرياء يستحق أن نقف عنده، رغم تقادم العهد عليه، لأنه مثال واحد من عشرات الأمثلة التي تدل على وجود مؤامرة طائفية تستهدف إثارة نزاع بين أهل السنة والشيعة في المنطقة.

لقد سبق الحادث حملة إعلامية عما سمي مسألة أهل السنة في إيران، ثم جاء الحادث ليكمل خطة تلك الحملة وليلقي في الأذهان أن حادث الانفجار جاء ضمن عمليات تصفية طائفية داخل البلاد.

ولحسن الحظ كان وعي الأمة في إيران أكبر من المؤامرة فقد خرجت الجماهير وخاصة من أهل السنة الإيرانيين في مظاهرات غاضبة أدانت الحادث بشدة، وبذلك توفرت ولله الحمد فرصة جديدة لتجاوز الحساسيات الطائفية الموروثة.

غير أن الخطة لابد أن تتواصل. واتجهت أنظار المراقبة إلى مساجد أهل السنة لأنه من المحتمل أن تقضي الخطة بتنفيذ عملية تخريبية فيها من أجل الإيحاء باستمرار التصفيات الطائفية وبأن العملية رد فعل شيعي لذاك الانفجار.

وصدق الاحتمال. فقد القي القبض على من يضع قنبلة موقوتة في أحد مساجد أهل السنة. وحين جرى معه التحقيق تبين أنّه على ارتباط تنظيمي بالذي فجر القنبلة في مرقد الإمام الرضا، وأن الخطة واحدة بشقيها: إثارة أهل الشيعة تارة وإثارة أهل السنة تارة أخرى.

هذا الحادث العجيب يدفعنا إلى أن نعيد النظر فيما سجلته لنا ذاكرة التاريخ البعيد والقريب من نزاعات طائفية بين أهل السنة والشيعة. ألم يكن لليهود يد فيها ؟! ألم يكن للصليبية ضلع فيها؟! أما كان وراءها مصالح الحكم والسيطرة؟!

لا يمكن أن نتوقع من التاريخ تقديم وثائق واضحة تكشف الأيدي الخفية وراء النزاعات الطائفية، لأن كتاب التاريخ كانوا ينقلون الحجم الظاهر من الأحداث، بل جزءًا من هذا الحجم الظاهر فما بالك بالقسم الغاطس منها ! غير أنا نلمس بوضوح دور الحكام في إثارة فتن عقائدية كقضية القول بخلق القرآن والجبر والتفويض، والإرجاء، وقضية التجسيم والحلول ونظيرها كثير. ولو تركنا التاريخ القديم ففي تاريخنا الحديث ما يشهد على

تدخل مصالح الحكم في إثارة النعرات الطائفية كالذي حدث في زمن الصراع المصلحي بين الحكم الصفوي والعثماني.

وفي تاريخنا المعاصر أيضًا جم غفير من الوثائق على هذا الأمر. ولعل أوضحها وأشهرها هذه الحملة الإعلامية الطائفية الضخمة التي شنت على الشيعة والتشيع بعد انتصار الإسلام في إيران وبعد إقامة حكم فيها قائم على أساس القرآن والسنة ومهتد بهدى رسول الله في نفي سبيل سيطرة الكفر العالمي على مقدرات المسلمين، وتحقيق العزة المطلوبة لأبناء القرآن الكريم.

المصالح التي تقتضي توسيع الشقاق بين المسلمين لا تزال قائمة. وتنامي الصحوة الإسلاميّة يقوي هذا المقتضي. ويجعل الطامعين في استمرار السيطرة على مقدرات المسلمين يخططون ليل نهار من أجل استثارة الفريقين، لتعميق الحساسيات وإشعال نار النزاعات.ومن المؤكد أنهم سيسلكون لذلك كلّ سبيل.

سنستفز بإثارة قضايا تاريخية.

وبتزييف المعتقدات والأفكار.

وبتهويل الخلافات الفقهية الفرعية.

بل وسنستفز بأعمال تخريبية وعمليات إرهابية.

وسيجند لذلك من باع ضميره وذمته للشيطان.

فما هو واجب الأمة المسلمة تجاه هذه المؤامرات ؟

الجواب واضح. انه الحذر من الاستفزاز.

لا يجوز أن نقطع الطريق أمام البحوث والدراسات التاريخية والفقهية والعقائدية المذهبية المقارنة، فمثل هذه الدراسات تستطيع أن تكون وسيلة تفاهم وتقريب. ولكن لا يجوز أن نندفع في تصعيد همومنا المذهبية لتتسينا همومنا الرسالية الكبيرة. فذلك ما يجر إلى نوع من إثارة الحساسيات وبالتالي إلى الاستفزاز.

لابد من التفريق بين الدراسات العلمية الموثقة وبين هذا الكم الهائل الموجود من كتب السب والشتم والطعن. فهذه الأخيرة وليدة ظروف سياسية خاصة، ودونت بيد رموز معروفين بارتباطاتهم المشبوهة.وهي لا تخدم التفاهم ولا تسلط الضوء بشكل مستدل مدروس على قضايا الخلاف. بل تستهدف الاستفزاز لا غير. ولابد أن نعي على أهداف كتابها وناشريها.

أضحى من الواضح لكل العالم ولطرفي الحرب العراقية الإيرانية المؤلمة المؤسفة أن أحد أهداف هذه الحرب التي أزهقت أرواح الآلاف وأهدرت ما لا حد له من الأموال والطاقات كان إثارة الحساسيات الطائفية بين أهل السنة والشيعة. حاول الأعلام الاستكباري كثيرًا أن يصورها بأنها استمرار للنزاع الطائفي التاريخي بين البلدين !! مزيفا كلّ حقائق التاريخ.

وإذا كانت مؤامرة الإثارة الطائفية في هذه الحرب قد فشلت بسبب انكشاف كلّ الأوراق بفضل الله ومنّه. فإن التآمر سيستمر حتّى ولو كلف المزيد من سفك الدماء وتدمير الطاقات.

لقد اشتهر عن غربي في الحرب العالمية الثانية قوله: سنحارب حتّى آخر هندي !! وطواغيت الأرض سيحاربوننا حتّى آخر مسلم. سيستخدمون المسلمين لضرب المسلمين. باسم الطائفية كي يصوروا لأبناء الأمة أن الدين هو المسؤول عن كلّ هذه النزاعات. وبذلك يركزون جذور العلمانية الرافضة للدين في العالم الإسلامي.

ومواجهة هذا التآمر الدموي يتطلب أول ما يتطلب تحرر الإرادة السياسية في العالم الإسلامي يتطلب تعاونًا وثيقًا في كلّ المجالات بين بلدان المسلمين بحيث تكون العلاقة بين أجزاء الكتلة الإسلاميّة أقوى من أية علاقة أخرى بالكتل الأخرى.

كما يتطلب على صعيد كلّ بلد تعاونًا وتفاهمًا بين العلماء والكتاب والمثقفين والإعلاميين لتفويت الفرصة على المتآمرين أمام حوادث الاستفزاز، كما حدث خلال عملية الانفجار في مرقد الإمام الرضا بخرا سان، وعملية انفجار مرقد الإمامين العسكريين في سامراء».

وقبل كلّ هذا وذاك نعوذ بالله سبحانه من كيد الكائدين، ونسأله أن يمن على أمتنا بالتقوى في هذه المواقف وبالصبر والتأني في النظر إلى هذه الأمور ﴿وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئًا﴾ صدق الله العلي العظيم.

حروف مجنّحة

بلال حسن التل*

• فتوى الإمام الخامنئي ارتكزت على تراث شيعي طويل يحترم الصحابة وأمهات المؤمنين • الخلاف المذهبي ليس معركة الأمة وإثارته جزء من المؤامرة على المقاومة. • ليس من العدل أن يؤخذ أتباع مذهب بجريرة سفيه محسوب عليه. • يجب ألا نُدخل ما قاله هذا الشخص أو غيره في إطار صراع سنّي ـ شيعي • حجم التغطية الإعلامية التي نالتها الإساءة للسيدة عائشة رغم تفاهة مصدرها، فاقت كثيرًا التغطية الإعلامية للمواقف الرافضة لهذه الإساءة • القضية ليست قضية دفاع عن السيدة عائشة لكنه نفخ في كير الفتنة، لإحداث المزيد من التمزق في صفوف المسلمين. وصولاً إلى تحقيق الهدف الأساسي للعدو ويتمثل بإنهاء المقاومة ممثلة بحزب الله وحماس، عبر تشويه صورتهما باعتبارهما يدوران في فلك إيران الشيعية.

* -كاتب وصحفي اردني .

غير مرة دعونا إلى ما هو أكثر من التحفظ, على ردود فعلنا, كعرب وكمسلمين على بعض التصرفات المسيئة للإسلام ولرموزه. لأن ردود فعلنا في الغالب الأعم كانت تخدم المسيء وتعمم الإساءة. وكنا ندعو دائمًا إلى ممارسة قاعدة « أقتله بصمت» في مواجهة الإساءة والمسيئين من جهة, واعتماد ردود فعل إيجابية تُحرم المسيئين من متعة الشهرة والأضواء, وتحول دون تعميم الإساءة من جهة أخرى. خاصة وأن ردود الفعل الصاخبة كانت دائمًا تحول دون وصول الردود الايجابية إلى مبتغاها, حيث يختلط الحابل بالنابل ويطغى الضجيج على صوت العقل والمنطق.

آخر دليل على ما نقول ما حصل في قضية الإساءة لأم المؤمنين السيدة عائشة (عليها رضوان الله) على يد من كان نكرة مجهولاً فصار علمًا معلومًا ، بفضل ردود فعلنا الصاخبة التي غطت على النتائج الإيجابية لما اقترفه المسيء لأم المؤمنين السيدة عائشة, وأبرز هذه الإيجابيات أنها أوضحت الموقف الحقيقي لمراجع الشيعة وعلى رأسهم آية الله العظمى السيد علي الخامنئي, المرشد الأعلى للثورة الإسلامية في إيران والمرجع المذهبي لغالبية الشيعة في العالم.

لقد أصدر سماحته فتوى تحرم الإساءة لأي من صحابة رسول الله وخاصة لزوجاته, ومن بينهن السيدة عائشة (عليها السلام). وهذه الفتوى التي أكدت فتوى سابقة للإمام الخميني حوّل تحريم الإساءة للصحابة تأتي متساوقة مع عدد من فتاوى واضحة لمراجع

الشيعة العظام، حول هذه القضية. لعل من أبرزها وأهمها فتوى العلامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله (عليه رحمة الله) بتحريم الإساءة إلى صحابة رسول الله ولزوجاته عليهن جميعا سلام الله. وهي الفتوى التي أكدها مؤخرًا ردًا على واقعة الإساءة للسيدة عائشة عليها سلام الله ولده ووريثه العلامة علي فضل الله حيث قال سماحته:

«نأسف لمثل هذه الأصوات التي عادت لتصدر في مرحلة نلمس فيها سعيًا حثيثًا لإثارة الانقسامات والفتن، وهناك من يعمل ليكون مساهمًا في تهيئة المناخ لذلك، ونشعر بأنّ هؤلاء بشكل مباشر أو غير مباشر، يعملون على مساعدة من يبشّرون بالفتن في لبنان والعراق وغيرهما، لإفقاد المسلمين وحدتهم وقوّتهم. ونحن نستحضر في هذه الأجواء الفتوى التي أصدرها سماحة المرجع السيد محمد حسين فضل الله، بحرمة سبّ الصحابة أو أمهات المؤمنين، فعندما نسيء إلى زوجة الرسول فنحن نسيء إلى الرسول وإلى القرآن الكريم أيضًا الذي تحدّث عن زوجات الرسول الكريم بوصفهنّ أمّهات المسلمين، فالتعرض لإحداهنّ بمثل هذا الكلام المسيء، يعني مخالفةً صريحةً لما جاء في القرآن الكريم عن زوجات النبي، فإذا كان هناك بعض الملاحظات على أحداث تاريخية، فيجب أن تطرح بشكل علمي سليم، ويجب أن تخضع للتقويم التاريخي، وما أصدره سماحة المرجع السيّد فضل الله من حرمة سبّ الصحابة وأمّهات المؤمنين، هو حكم شرعي نتبنّاه ونعمل به».

ولم يتوقف السيد علي فضل الله عند حدود استنكار الإساءة التي وُجهت للسيدة عائشة, بل ذهب إلى ما هو أبعد عندما دعا إلى العمل الجدي لقطع الطريق على الفتنة المذهبية قائلاً: «نحن ندعو ونطلب من المرجعيات الإسلامية والشيعية, ومن كل الذين يريدون تأكيد الوحدة الإسلامية, ومن كل الحريصين على وحدة المسلمين, أن يتحرّكوا في إطار حمل المسؤولية, لقطع الطريق على أي حديث أو محاولةٍ لإثارة الفتن, وألا يكتفوا بالحديث العام, فلا بدّ من الدخول في التفاصيل والتصدي لكل الأدوات التي تستخدم في إثارة الفتنة, وحماية الوحدة الإسلامية, وعدم السماح لمن يريد سوءًا بالمسلمين ووحدتهم أن يحققوا أهدافهم, ولذا فهذه المسؤولية تقع على عاتق المرجعيات الإسلامية الشيعية, وكل الذين يريدون خيرًا لهذا العالم العربي والإسلامي, الذي يمتلك الكثير من مواقع القوّة التي يريد بعضهم ضربها من خلال إثارة الفتن الداخلية».

والسيد فضل الله عندما يتخذ هذا الموقف, من قضية الإساءة للسيدة عائشة, أو لغيرها من صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم), إنما يرتكز على حقائق المذهب الجعفري فهو في إطار تصديه للإساءة التي صدرت بحق أم المؤمنين السيدة عائشة يقول:

«فالشيعة عندما ينطلقون من قدوة لهم, عليهم أن يلتزموا مواقفها عندما يقتدون بها, ولا يمكن لهم أن يكونوا إلا كما كان الإمام علي (ع) في علاقته مع أصحاب رسول الله والخلفاء الذين تقدموه في الخلافة, وفي علاقته مع السيدة عائشة. ولهذا من

يطرح هذه الأمور بهذا الشكل, لا يمثّل جمهور الشيعة, ولا يمثّل صورة الإمام علي, ولا يمثّل الصورة التي انطلق منها عندما قال: «لاسالمن ما سلمت أمور المسلمين». والروح الإسلامية التي عاشها أهل البيت في كل المراحل ومع كل الأئمة, هي روح التواصل والوحدة, فالإمام الصادق (ع) كان يقول: «صلوا في مساجدهم (ويقصد أهل السنة), وعودوا مرضاهم, واشهدوا جنائزهم» (أي لا تكونوا مجتمعًا منعزلاً).. «كونوا زينًا لنا ولا تكونوا شينًا علينا». إذًا علينا ألا نأتي بأي تصرف يسيء إلى سلامة الواقع الإسلامي, والإمام زيد العابدين (ع) له دعاء لأهل الثغور في وقتٍ كان الجيش جيشًا تابعًا, على مستوى الحكم, لسلطة يزيد الذي قتل الحسين وأصحاب الحسين, ورغم ذلك, وقف ليدعو لهذا الجيش, لأنه رأى أن المصلحة الإسلامية تقتضي ذلك, فالجيش آنذاك كان يمثل الصورة الإسلامية العامة. وهكذا كان الإمام علي (ع) من قبله, ناصحًا للخلفاء الذين تقدموه, فمثلاً عندما استشاره الخليفة عمر بن الخطاب في مسألة أن يذهب ليقود هو الجيش في الحرب على الفرس, أشار عليه بعدم الذهاب وقال: «كن قطبًا واستدر الرّحى بالعرب», فهو كان حريصًا على موقع الخلافة وعلى الخليفة نفسه الذي رأى أنه يمثل صورة الإسلام. هذه هي حقيقة القدوة التي قدّمها أهل البيت, وهي القدوة التي يقتدي بها الشيعة عامّةً.

ولذلك يجب ألا نُدخل ما قاله هذا الشخص أو غيره في إطار

صراع سنّي ـ شيعي, فهذا الشخص لم يسئ إلى السنّة, بل أساء إلى الشيعة أيضًا, وإلى المسلمين جميعًا, وهو بطبيعة الحال لا يمثلهم ولا يمثل إلا نفسه بما قال ونطق).

إن ما استشهد به السيد علي فضل الله من التراث الشيعي وموقفه من صحابة رسول الله, هو غيض من فيض. وفي كتب التاريخ الكثير الكثير من المواقف والفتاوى الصادرة عن مراجع الشيعة التي تحرم الإساءة للصحابة (عليهم رضوان الله) من ذلك, أن اعرابيًا قال للإمام موسى بن جعفر الكاظم: «لقد سمعت رواية عن مالك بن أنس يقول: من سبّ أبا بكر وعمر يجلد, ومن سب عائشة يقتل, قيل له: لِمَ يُقتل في عائشة؟ قال: لأن الله تعالى يقول في عائشة رضي الله عنها ﴿يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدًا إن كنتم مؤمنين﴾, قال مالك فمن رماها فقد خالف القرآن, ومن خالف القرآن قُتل. فقال له الإمام: أسببت الشيخين قال: لا قال: سلّم بدنك من السياط ثم قال: أسببت عائشة فقال: لا والله. فقال: لديك رزق في الحياة» وهو ما فسره العلماء بأن الإمام موسى كان سيأخذ بحكم الامام مالك فيجلد الأعرابي إن كان شتم الشيخين ويقتله إن كان شتم السيدة عائشة.

وعن أبي السائب القاضي قال: كنت يومًا بحضرة الحسن بن زيد الداعي بطبرستان, وكان بحضرته رجل فذكر عائشة بذكر قبيح, فقال: يا غلام إضرب عنقه, فقال له العلويون: هذا رجل من شيعتنا, فقال: معاذ الله إن هذا رجل طعن على النبي

(صلى الله عليه وسلم) قال الله تعالى: ﴿الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات, والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات, أولئك مبرءون مما يقولون, لهم مغفرة ورزق كريم﴾, فإن كانت عائشة خبيثة حاشا لله فالنبي (صلى الله عليه وسلم) خبيث وحاشا للنبي أن يكون كذلك, إذا فهو كافر فاضربوا عنقه, فضربوا عنقه وأنا حاضر. وأبو السائب القاضي كما هو معروف من أعلام وعلماء الشيعة.

وفي المروي من الوقائع: أن رجلاً من العراق قدم إلى محمد بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب فذكر السيدة عائشة بسوء فقام إليه بعمود فضرب دماغه فقتله، فلما قيل له هذا من شيعتنا أجاب: «هذا تحدث عن أمي سوءًا فقتلته» وليس هذا بالأمر المستغرب على حفيد الإمام علي, فإن جدّه الإمام علي بن أبي طالب عليه وعلى آله السلام كان يوصي بالسيدة عائشة قائلاً: (هل أوصلتم معونة أمنا؟). وعلى اسم السيدة عائشة سمى الإمام موسى الكاظم ابنته البكر السيدة عائشة بنت موسى الكاظم.

إنني لا أحشد هذه الأقوال والمواقف للدفاع عن الشيعة ولكن لأقول بأن فتوى الإمام الخامنئي ومن قبلها فتوى الإمام الخميني ارتكزت على هذا التراث الشيعي الحقيقي. وامتدادًا لهذا التراث الشيعي جاء موقف علماء الشيعة في السعودية وعلى رأسهم العلامة حسن الصفار, وكذلك موقف علماء ومراجع الشيعة في كثير من أصقاع الدنيا من قضية الإساءة للسيدة عائشة, ولسائر الصحابة.

فقد تصدوا جميعًا لمحاولة إثارة الفتنة بين المسلمين من خلال الإساءة للسيدة عائشة أم المؤمنين عليها السلام.

إن اللافت للنظر, أن حجم التغطية الإعلامية التي نالتها الإساءة للسيدة عائشة رغم تفاهة مصدرها, فاقت كثيرًا التغطية الإعلامية للمواقف الرافضة لهذه الإساءة. رغم أهمية المواقع المذهبية والفقهية والسياسية لأصحاب هذه المواقف وعلى رأسهم الإمام الخامنئي الذي تنشغل وسائل الإعلام الغربية والدائرون في فلكها في تحليل كل كلمة يقولها، إلا إذا تعلقت هذه الكلمة بما يجمع وحدة الأمة. كما هو حال فتواه في تحريم الإساءة للسيدة عائشة وللصحابة (عليهم رضوان الله) مما يدل على أن وراء الأكمة ما وراءها. وأن القضية ليست قضية دفاع عن السيدة عائشة لكنه نفخ في كير الفتنة, لإحداث المزيد من التمزق في صفوف المسلمين. وصولاً إلى تحقيق الهدف الأساسي للعدو في هذه المرحلة من التاريخ. وهو الهدف الذي يتمثل بإنهاء المقاومة ممثلة بحزب الله وحماس، عبر تشويه صورتهما باعتبارهما يدوران في فلك إيران الشيعية. وكأن إيران لم تكن شيعية زمن الشاه الذي كان حليفًا وصديقًا وشريكًا للذين يخاصمون إيران اليوم باعتبارها دولة شيعية.

ثم من قال أن الفرز المذهبي هو أولوية من أولويات الأمة التي تحدد على أساسها المواقف والعلاقات السياسية؟ إلا إذا كان الهدف من هذه المواقف المزيد من تمزيق صف الأمة, وإضعافها لحساب عدوها الصهيوني والأمريكي, الذي يحتل أرضها في

فلسطين ولبنان وسوريا والعراق وأفغانستان. وهو العدو الذي يسعى جاهدًا إلى جعل الصراع المذهبي معركة المسلمين. وهو ليس كذلك لأن المذهبية علامة من علامات الثراء الفكري والتشريعي لأمة المسلمين, الذين آن الأوان لكي يحتكموا إلى عقولهم وأصول عقيدتهم، وإلى أدب التخاطب فيما بينهم.

لم يعد مقبولاً أخذ أتباع مذهب بكاملهم بجريرة سفيه محسوب على هذا المذهب أو ذلك المذهب, سنّيًا كان أم شيعيًا.

ولنتذكر جميعا أننا ندين بدين واحد. ونتبع رسولا واحدًا. ونتلو قرآنًا واحدًا. ونتجه لقبلة واحدة. وأن لدينا تاريخًا طويلاً يقول: إن العلاقة بين أئمة مذاهبنا كانت مبنية على الاحترام المتبادل. وكان كل منهم يأخذ من الآخر ويصلي خلفه. فلماذا نُسلم قيادنا اليوم لأنصاف «المستشيخين» و«لمرتزقة الفضائيات» يبثون بيننا سمومهم, ويبحثون عن النقاط السوداء في تاريخنا ليلطخوا بها حاضرنا. مع أن هذه الفضائيات وهؤلاء "الأنصاف" بل و«الأرباع» ولا نريد أن نقول «الأعشار» يلبسون هم وسادتهم ومموّلوهم لبوس الحكمة, والدعوة للجدال بالتي هي أحسن, إذا جاءت الإساءة للإسلام ولرموزه من الغربيين والأمريكيين منهم على وجه الخصوص. بما يؤكد أيضًا أن الأمر ليس أمر غضبة للإسلام والمسلمين, لكنها رغبة في شق صفوفهم. فالحذر الحذر ولنرصّ صفوفنا ولنرفع درجة الوعي لدى أبناء هذه الأمة التي لا يجوز أن ترقص كلما ضرب سفيه دفّه؟!

السيد محسن الأمين عَلَم التقريب

محمد علي التسخيري *

• يجب أن نوضح أن الدعوة للتقريب والوحدة لا تعني مطلقًا العمل على تذويب المذاهب • العقبات التي تصورها اليائسون هي أمور يمكن تجاوزها بسهولة إذا تصورناها على واقعها، وإذا تعاملنا معها بروح الحوار القرآني • على الصعيد العقائدي لا نجد اختلافًا على الأصول مطلقًا، فالتوحيد والنبوة والمعاد والقرآن والسنة النبوية الشريفة وعظمة الصحابة (رض) وحب أهل البيت(ع) والكعبة والإيمان بأصول الشريعة وأركانها شيء لا يختلف عليه اثنان • وفي المجال التاريخي لا نجد هناك أية عقبة كؤود أمام التآخي والتآلف • أكد الإمام البروجردي سابقًا على عدم نقل الخلاف إلى الصعيد غير العلمي • كتب أهل السنة حافلة بروايات أهل البيت(ع).

يتصور البعض إن هناك عقبات كثيرة عقائدية وتاريخية ومذهبية ـ وحتى من خلال السنن الشعبية ـ أمام وحدة الأمة وتقارب المسلمين بالشكل الذي يدخل القضية في متاهات

* ـ الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية ..

الاستحالة واليأس، ولكننا نعتقد ـ كما أكد العلامة الكبير الأمين ـ انهم واهمون كل الوهم: سواء على الصعيد النظري أو على المستوى العملي.

وها هي بشائر التقريب تحل محل التفريق، وها هو الأمل يتحقق شيئًا فشيئًا. وها هي جهود القادة من أمثال المرحوم العلامة الأمين تنتج أفواجًا من الدعاة لا إلى التقارب بين المذاهب الإسلامية فحسب، بل وحتى الحوار البناء بين المسلمين وأبناء الأديان الأخرى للوصول إلى المساحات المشتركة، ولقد كان (رحمه الله) يتعاطف معهم وربما بكى لحالهم.

ولن ننسى بهذه المناسبة موقفه حينما عارض قانون الطوائف الفرنسي، وقال مخاطبًا المفوضية الفرنسية: «فأنا بصفتي الرئيس الروحي للطائفة الإسلامية الشيعية في سوريا ولبنان أرجو فخامتكم ان تحيطوا علمًا باستنكار الشيعيين عامة لهذا القرار وهذه التفرقة بين المسلمين».[1]

إننا نشهد اليوم تراجعًا كبيرًا لهؤلاء اليائسين وانفتاحًا كبيرًا من قبل علماء الأمة ومفكريها بل وجماهيرها على التقريب، وربما كان لدعوات الحوار العالمي بين الحضارات ـ وبالأولى بين المسلمين ـ وللهجمة الشرسة لأعداء الأمة تحت عناوين الإرهاب والعولمة وحقوق الإنسان وغيرها الأثر المهم في هذا المجال.

وقبل كل شيء يجب أن نوضح أن الدعوة للتقريب والوحدة لا

---

١ - أعيان الشيعة، م ١٠ ص ٣٧٠.

تعني مطلقاً العمل على تذويب المذاهب، كيف وكلها تراث اجتهادي رائع يمثل ثراء للفكر الإسلامي، وإعمالاً للعقل المسلم عبر القرون لعنصر الاجتهاد في نصوص الشريعة الغراء، وبالتالي يشكل مساحة واسعة تستفيد منها الأمة لحل مشاكلها الحضارية باستمرار.

إن التقريب ـ في رأينا ـ يعني:

١ـ التمسك بالمبادئ والأصول الإسلامية المسلّم بها، والتعاون في المساحات المشتركة بين المذاهب.

٢ـ السعي الحثيث لكشف هذه الميادين المتفق عليها، وتوسيعها.

٣ـ رجوع كل فرد إلى مذهبه الخاص في الأمور التي تختلف فيها المذاهب ـ وما أقلها ـ ويعذر الواحد منّا الآخر فيما نختلف فيه من اجتهادات.

٤ـ تنمية الآداب والأخلاق التقريبية من قبيل: التآلف، وحسن الظن، والرقي بمستوى التفاهم، والإحساس بالأخوة والتكافل.

وهنا يقول المرحوم العلاّمة الأمين ـ وهو يشرح هدفه من دعوته التقريبية ـ: «ليس مقصودنا من هذه المقالة أن نجعل أهل السنة شيعةً أو العكس، أو أن يتبرأ كل من الطرفين من آرائه ومعتقداته». ويضيف: «قد يساء فهم المقصود من فكرة التقارب، فيقال: إنها تدعو إلى ترك البحث حول أحقية هذا المذهب أو ذاك، وذلك لأننا لا نستطيع أن نحافظ على الأخوة إلا بترك هذا النمط من البحوث، الا أن هذا غفلة عن أن هذه الدعوة لا تُقبل

مادام كل طرف ملتزمًا بمذهبه، ويراه هو الحق ولا يمكن أن يتخلى عن اعتقاده من دون دليل أو برهان. إن الذي يجب أن يدعى إليه الطرفان: التعاون، وتحري الأدلة العلمية، والتمسك بالآداب الإسلامية، وتجنب التصرفات غير اللائقة الباعثة على التنفر».[1]

هكذا إذن لا يعني التقريب إغلاق باب البحث «الكلامي» ولا باب البحث «التاريخي» بل ولا يطلب من أحد أن يتنازل عن إيمانه بأن مذهبه هو الحق أو الأحق بالاتباع، وإنما المطلوب التركيز على عملية التعاون في المساحات المشتركة وتوسيعها، وأن يعذر البعض الآخر في موارد الاختلاف في الرأي.

أما تلك العقبات التي تصورها اليائسون فهي أمور يمكن تجاوزها بسهولة إذا تصورناها على واقعها، وإذا تعاملنا معها بروح الحوار القرآني، وإذا أدركنا ما يترتب على هذا التعامل من آثار ايجابية كبرى.

فعلى الصعيد العقائدي لا نجد اختلافًا على الأصول مطلقًا، فالتوحيد والنبوة والمعاد والقرآن والسنة النبوية الشريفة وعظمة الصحابة (رض) وحب أهل البيت (ع) والكعبة والإيمان بأصول الشريعة وأركانها شيء لا يختلف عليه اثنان، وإن كانوا قد يختلفون في التفاصيل بما لا يخدش مطلقًا أي جانب من الأصول المذكورة.

ولا يعني الاختلاف أحيانًا في التفاصيل اختلافًا في التعامل

---

١ - من مقالة له نشرت بشكل مستقل تحت عنوان (حق اليقين).

مطلقاً، وما أكثر اختلاف الصحابة في الآراء، وكذلك اختلاف الأئمة في استنباط الحقيقة من نصوص الشريعة، دون أن يؤدي ذلك إلى تنافر في السلوك.

وهنا أتذكر أن بعض الأتباع تصوروا خطأً إن عملية التبرّي تشمل أتباع الاتجاهات الأخرى ومن لا يقولون بقولهم، وليسوا بمستوى علمهم، فواجههم أئمة أهل البيت(ع) برفض هذا المنحى وتصحيح هذا التصور المنحرف.

ففي الرواية: «أنه جرى ذكر قوم ـ قال الراوي: ـ فقلت له ـ يعني الإمام الصادق(ع) ـ: إنّا لنبرأ منهم، انهم لا يقولون ما نقول. قال: فقال: يتولونا ولا يقولون ما تقولون، تبرأون منهم؟ ... إلى أن قال: فهو ذا عندنا ما ليس عندكم، فينبغي لنا أن نبرأ منكم! .. إلى أن قال: فتولوهم ولا تبرأوا منهم...».[1]

إن التبري إنما يكون من أعداء الله والإسلام والأمة، ولا مجال له بين ابنائها، وهو ما يصححه المرحوم الأمين في بعض كلماته.[2]

والحالة التي ننبه على لزوم اجتنابها هنا هي مسألة المؤاخذة باللوازم.

فقد يتصور هذا الطرف مثلاً: أن القول بنوع من التجسيم يستلزم الشرك، أو أن القول بالتحسين والتقبيح الشرعيين لا

---

١ - وسائل الشيعة، باب ١٤ من أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ج١٦ ص١٦٠، من طبعة دار آل البيت (ع).

٢ - راجع مقال «حق اليقين» للعلامة الامين.

العقليين يستلزم إغلاق باب النبوة أو التصديق بها، وقد يتصور الطرف الآخر أن القول بالشفاعة، والتوسل، وزيارة القبور يستلزم الشرك، وهكذا دواليك. ويبدأ مسلسل نسبة الكفر والفسق والبدعة إلى هذا الطرف أو ذاك.

والحقيقة هي إن أي طرف لا يقبل هذه اللوازم المطروحة في ذهن الطرف الآخر بل له توجيهاته ومخارجه التي يستند فيها إلى أدلة شرعية وعقلية معتبرة عنده. وحينها لامعنى لأحكام التكفير والتفسيق مطلقاً.

إنها إذن حالة يجب اجتنابها شرعًا وعقلاً، وإلا بقينا ندور في حلقة مفرغة.

وفي المجال التاريخي لا نجد هناك أية عقبة كؤود أمام التآخي والتآلف. ولنأخذ أشد المواضيع حساسية وهي مسألة الخلافة بعد الرسول (ص). فهناك نظريتان، تركز إحداهما على أنه (ص) أوصى وعيّن الخليفة بعده، وترفض الثانية ذلك. وهذه قضية تاريخية لها مجالها البحثي، ولا مانع من ذلك في جو أخوي صميم. فإن تم الاتفاق وإلا عذر كل منهما الآخر. وهنا يقول المرحوم العلاّمة الأمين: «لم نزل نتنازع على شرعية الخليفة حتى صار المندوب السامي هو خليفتنا».

وقد أكد الإمام البروجردي سابقًا على عدم نقل الخلاف إلى الصعيد غير العلمي، وتجاوز هذه المسألة إلى مسألة أخرى هي أكبر أهمية منها، وهي مسألة «المرجعية العلمية لأهل البيت ـ ع ـ» حيث تؤكدها النصوص، وقد لا يختلف فيها المسلمون، ولذا

اختص علي(ع) بلقب الإمام في ذهننا التاريخي جميعًا.[1]

وهنا نذكر بأن الإمام عليًا ـ وخلافًا لما يتصوره البعض ـ لم ينزو عن الحياة ربع قرن من عهد الخلافة الراشدة ـ كما يقال ـ بل عاش في قلبها وخاض خضمها، وحل الكثير من مشاكلها، حتى نقل المؤرخون أن الخليفة الثاني كرر عشرات المرات عبارة: «ما كنت لمعضلة ليس لها أبو الحسن».

وإذا انتقلنا إلى تاريخ أئمة المذاهب وتعاملهم رأينا العجب العجاب من التسامح والمداراة والتعاون والاحترام الكبير.

فمن المعروف أن كتب أهل السنة حافلة بروايات أهل البيت(ع) حتى إن بعض العلماء[2] ذكر أنه جمع أكثر من عشرة آلاف حديث بهذه الصفة. وهو يؤكد أن الكثير من تلامذة الإمام الصادق كانوا من علماء السنّة، وبينهم الكثير من أسر الصحابة والخلفاء، وعدد من المتكلمين المشهورين والمؤرخين من أصحاب السيرة.

والعلاقات بين الإمام الصادق والإمام أبي حنيفة معروفة، وكذلك مع الإمام مالك الذي نقل كيفية حجّ رسول الله (ص) عنه، وشِعر الإمام الشافعي في أهل البيت مشهور، وقد ذكر الإمام أحمد بن حنبل الحديث المعروف بسلسلة الذهب المروي عن الإمام الرضا(ع) عن آبائه بأسمائهم وذلك حين مرّ بنيسابور وهو:

---

١ - راجع بحث «المرجعية العلمية لأهل البيت ـ ع ـ».

٢ - وهو آية الله محمد واعظ زاده ـ الأمين العام السابق للمجمع العالمي للتقريب ـ في كتابه (دراسات وبحوث ج١ ص ٤١٥ ـ ٤٢٣).

«كلمة لا إله إلا الله حصني فمن قالها دخل حصني ومن دخل حصني أمن من عذابي» وأردف قائلاً: «بشرطها وشروطها»، نقل الحديث الإمام أحمد ثم علّق عليه بقوله: «لو قرأت هذا الإسناد على مجنون لبرئ من جنته».[1]

إننا اليوم نرجو - بكل حسرة - أن يعود حالنا في التعاون كحال أئمتنا.

ولا ننسى هنا أن نذكر بأن المذهبية - كما أكدنا - كانت خيرًا كبيرًا ما دامت تعبر عن غنىً علمي، ولكن العوامل الكثيرة كالجهل، والتعصب المقيت، وعدم التأدب بآداب الإسلام في الحوار، وأهواء الحكام الطغاة، وغير ذلك حولت المذهبية إلى طائفية متعنتة، وتصادمية عمياء، سالت على أثرها الدماء والدموع.

يقول أحد الكتاب المعاصرين: «ولم تكن السلطات الحاكمة بعيدة عن إثارة الصراع وتأجيجه، ممّا يتوافق وسعيها للتحصين بالاصطفاف وتمتين اواصرها بين السكان المحليين.. ولم تقتصر على السنّة والشيعة فحسب، إذ تكررت الحوادث بين الحنابلة وكل من الأشاعرة والحنفية والشافعية والمالكية». ويضيف: «وفي تزاحم تلك الصراعات سلطت حرب الإرهاب الفكري على المبدعين، ومن نماذجها ما حدث عندما توفي محمد بن جرير الطبري عام ٣١٠ هـ، فقد دفن بداره ليلاً لأن العامة

---

١ - الصواعق المحرقة لابن حجر ص ٢٠٣.

منعت من دفنه نهارًا).[1]

أما مسألة العادات والسنن الشعبية التي يقوم بها هؤلاء وهؤلاء فهي مسألة فيها نظر، لأنه ليس من السهل تغيير هذه العادات ولا يقف في قبالها إلا الأبطال، ومنهم شخصيتنا التي نحتفل بذكراها، إذ حارب الخرافات والمبتدعات وطهر المراسم الحسينية من الأعمال السخيفة، ولاقى نتيجة ذلك الأمرين حتى من بعض العلماء.

وعندما نتجاوز البحوث العقائدية والتاريخية إلى الميدان التشريعي فإن التلاقي سوف يبدو كأروع ما يكون، فلا يوجد خلاف في الرأي بين المسلمين في المساحة الأخلاقية مطلقًا، كما لا يوجد خلاف في مجالات المعاملات إلا نادرًا، وهكذا الأمر في المجالات العبادية إذا تجاوزنا بعض الجزئيات.

وأما العلاقات المدنية فهي متطابقة إلا في بعض القواعد الفقهية، وبالتالي يمكننا أن نصدق بقوة ما قاله علماء محققون من إن الشيعة والسنة متفقان في أكثر من ٩٠٪ من المساحة التشريعية.[2]

---

١ - قصة الطوائف للدكتور فاضل الأنصاري، ص ٢٣٥.

٢ - ومن هؤلاء الأستاذ المفكر الراحل محمد المبارك، والأستاذ الدكتور الزحيلي، والأستاذ حسين محفوظ وغيرهم.

الشهيد مطهّري
وإحياء الفكر الإسلامي

• المقصود من إحياء الفكر الديني ليس هو إحياء الدين نفسه، بل إحياء التفكير بشأن الدين • الهزيمة التي مُني بها العالم الإسلامي أمام الاستعمار الغربي كانت هزيمة نفسية بالدرجة الأولى • أول من نهض بعملية الغزو الفكري وعملية مسخ الشخصية الإسلامية في إيران دولة بريطانيا • أهم ما نهض به الشهيد مطهري هو مكافحة الانحرافات الفكرية كمقدمة ضرروية لإحياء الدين في المجتمع • الأستاذ مطهري وجد أن مهمته الأولى هي تقديم الإسلام بلسان العصر • إنها مسؤوليتنا التي تفرض علينا أن نقدّم كتبًا بلغة العصر في الحقول الإسلامية المختلفة • كل مصلح إسلامي حقيقي مخلص لا يمكن أن ينسى مهمة تحكيم الإسلام في كل مرافق الحياة • لو استيقظ الشرق واكتشف هويته الإسلامية، فلا تستطيع حتى القنبلة الذرية أن تقف بوجه هذه القوة العظيمة

يحاول هذا المقال أن يسلّط الضوء على جانب من نشاط الشهيد مرتضى مطهري في الحقل الفكري والثقافي، ومساعيه

للجمع بين الأصالة والمعاصرة، وأهمية هذا النشاط في إيران التي وضعت لها ألوان الخطط لتمييع الإسلام وتشويهه.

عملية الإحياء

العودة إلى الحياة الإسلامية تبدأ من العودة إلى المفاهيم الإسلامية الصحيحة، وتطهير الأفكار والنفوس مما علق بها من انحراف. هذا هو الأساس الذي تبناه كل المصلحين في عالمنا الإسلامي لعملهم الإسلامي على اختلاف اجتهاداتهم في تشخيص نوع الانحرافات وترتيب الأولويات.

الشهيد مطهري من أولئك الدعاة الذين نذروا أنفسهم لإصلاح المجتمع الإيراني مبتدئًا بإصلاح المفاهيم ومحاربة الانحرافات الفكرية، ويطلق على هذه العملية اسم «إحياء الفكر الديني» كما عبّر عنها إقبال اللاهوري من قبل.

ويوضح مقصوده من إحياء الفكر الديني بقوله:

«المقصود من إحياء الفكر الديني ليس هو إحياء الدين نفسه، بل إحياء التفكير بشأن الدين وبعبارة أخرى غسل الأدمغة مما تراكم فيها من انحرافات وتشويهات بشأن الدين»[1].

نستطيع أن نفهم عظم المسؤولية التي نهض بها الشهيد مطهري

---

١ -*إحياء الفكر في الإسلام*، مطهري، ترجمة آذرشب، ط١، طهران، ١٤٠٢هـ، ص ١٣.

في عملية الاصلاح الفكري لو عرفنا ضخامة الجهود التي بذلت في إيران خلال القرن الاخير لتشويه صورة الإسلام ولمسخ المفاهيم الإسلامية عن طريق مزجها بالمفاهيم الغربية الماديّة.

جهود الغرب والمتغربين

الهزيمة التي مُني بها العالم الإسلامي أمام الاستعمار الغربي كانت هزيمة نفسية بالدرجة الأولى، وهذه الهزيمة النفسية الداخلية دفعت بكثير من المثقفين المهزومين إلى الطعن في تراث الأمة وتاريخها وأصالتها، وإلى التبعية الفكرية والنفسية لعالم المستعمرين.

لقد نهض نفر من العلماء لدراسة هذه الظاهرة في العالم العربي وفي شبه القارة الهندية[1]. ولكن قلّما احتوت المكتبة العربية دراسات عن هذه الظاهرة في إيران.

في اعتقادنا أن الجهود التي انصبّت لمسخ المفاهيم الإسلامية وتشويهها واشاعة روح «التغرب» و«الالتقاط» في إيران كانت أعمق وأوسع مما كانت عليه في أجزاء العالم الإسلامي الأخرى، ذلك لما يتمتع به هذا البلد من علماء ومن حركة علميّة تتجه نحو الاجتهاد في مسائل الدين، ولابدّ أن تكون الخطة لمواجهة هذه

---

١ - انظر: *الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي*، د. محمد البهي، دار الفكر، بيروت.وكتاب: *الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية*، أبو الحسن الندوي، القاهرة، ١٩٧٧ .

الحركة العلمية المعمّقة في إيران عميقة أيضًا ومدروسة.

أول من نهض بعملية الغزو الفكري وعملية مسخ الشخصية الإسلامية في إيران دولة بريطانيا، فمنذ سنة ١٦٠٠ ميلادية وضعت لإيران خطة تمثلت ـ كما ورد في الوثائق البريطانية ـ بما يلي:

١ـ تقوم وزارة الخارجية البريطانية بتأسيس سفارة في إيران ومؤسسات بريطانية أخرى.

٢ـ الشركات البريطانية مكلفة بتأسيس فروع تجارية وبنوك في إيران، وبالسعي للحصول على امتيازات استثمار المعادن والمناجم.

٣ـ المستشرقون البريطانيون مكلّفون بالتوجه إلى إيران ودراسة آدابها وتاريخها وفنونها.

٤ـ علماء الآثار يتحملون مسؤولية دراسة آثار إيران وإجراء التنقيبات والحفريات فيها. وصاحب ذلك طبعا نهب كثير من آثار إيران القيمة.

٥ـ المركز الماسوني الأعلى مكلف بإرسال أفراد إلى إيران لتشكيل اللوج الماسوني في هذا البلد وتشجيع الإيرانيين القادمين إلى بريطانيا على الانتماء إلى الماسونية.

٦ - على البريطانيين الموجودين في إيران أن يستغلوا نقاط الضعف الموجود في إيران من رشوة وفساد وسرقة لتحقيق أهدافهم وأن يسعوا لتعميق هذه المظاهر السلبية ونشرها.

٧ - البريطانيون الموجودون في إيران يسعون لتقسيم إيران وإضعاف الحكومة المركزية ومحاولة الحطّ من قيمة الحضارة والثقافة الإيرانية[١].

لعل عملية نشر الماسونية والاستشراق في إيران كانت أكثر من الغزو العسكري والاقتصادي تأثيرًا في التمهيد لاستعمار إيران والسيطرة على مقدراتها.

آثار ذلك نتلمسها في الهزيمة النفسية النكراء التي مني بها المثقف الإيراني. هذا المثقف الذي تعلّم في أوروبا وفي جامعات أوربا ليتولى أمور إدارة بلده في مجلس الشورى والوزارات والدوائر، وليسوق بلده نحو أهداف المستعمرين وليقدم كل مقدسات بلده قرابين على مذبح الطامعين والغاصبين.

ومن أجل أن نعطي صورة أكثر وضوحًا عن الهزيمة النفسية والفكرية التي سادت المثقفين الإيرانيين نذكر بعض روّاد الماسونية والتغرّب في إيران. ونبدأ بالميرزا يعقوب خان الأرمني. عاش الميرزا يعقوب في أواخر القرن الثالث عشر الهجري، ويعتبر أول رائد للتغريب في إيران، وهو والد ملكم خان الذي سيأتي ذكره، ومن مؤسسي الماسونية في إيران، وأحد أعضاء عصابة ميرزا آقاخان نوري قاتل المصلح السياسي الإيراني المعروف «أمير كبير»، ومن عملاء بريطانيا العاملين على تجزئة أرض خراسان.

---

١ -*فراموشخانه وفراماسونری در إيران*(فارسي)، اسماعيل رائين، طهران، منشورات امير كبير.

فريدون آدميّت (وهو كاتب إيراني ماسوني ألف كثيرًا في تاريخ المثقفين التقدميين !! في إيران) يفخر بأنه عثر على رسالة للميرزا يعقوب خان يذكر فيها أن الحل الوحيد لانتعاش اقتصاد إيران هو فسح المجال للأوربيين أن يوظفوا رؤوس أموالهم في إيران، وتنشيط سياحة الغربيين فيها[1].

الميرزا يعقوب هذا يوجه رسالة إلى ناصر الدين شاه في حدود سنة ١٢٩٠هـ ويدعوه إلى إعادة النظر في الأحكام الدينية، ويركز على الجهاد بالذات، ويقول: إن المفهوم القديم للجهاد لم يعد له أي اعتبار الآن، ويجب تحويل مفهومه إلى شكل معاصر يرتبط بتحصيل الخير العام، مثل الجهاد من أجل دفع الفيضانات ومن أجل إنماء البلاد[2].

ويأتي بعد الميرزا يعقوب في قيادة حركة التغريب في إيران ابنه ملكم خان ناظم الدولة (١٢٤٩ - ١٣٢٦ هـ. ق)، ويحمل لقب برنس من بلاط الشاه، وتولى سفارة إيران في لندن ثم في روما[3]. يعتبر ملكم خان دماغ الماسونية المفكر في إيران، ورائد التغريب فيها.

---

١ - *انديشه ترقى وحكومة عصر سپهسالار*، (بالفارسية) فريدون آدميت، ط ٢، ص ٤٥ - ٤٨ .

٢ - م.ن ، ص ١٠٣ و ١٠٤.

٣ - *مقدمة فكرى نهضت مشروطيت*، (بالفارسية) د. علي اكبر ولايتي، ص ٨٠، ط ٣، طهران ١٩٨٦ .

كان بيته منتدى يجتمع فيه كل المشبوهين وضعاف العقيدة من الإيرانيين مثل الشيخ محمد باقر بواناتي (معلم أدوارد براون في الفارسية)، والحاجي پيرزاده، وسائر المثقفين الذين تولوا فيما بعد الحركة الدستورية في إيران!![1]. وهذا يبين لنا سبب انحراف الحركة الدستورية في إيران وسبب معارضة الشيخ فضل الله نوري لها.

ويتحدث ملكم خان بنفسه عن سبب تأسيس المركز الماسوني في إيران ويقول: لقد خططت من أجل أن أمزج بين العقلية السياسية الغربية والعقلية الدينية الشرقية، لأنني ألفيت أن تغيير إيران على النمط الأوربي لا يتحقق، من هنا سعيت إلى تقديم فكرة التطور المادي في لفافة الدين، لكي يفهم أبناء وطني هذه المعاني جيدًا، ودعوت أصدقائي والشخصيات المرموقة وحدثتهم عن ضرورة «اصلاح الإسلام»[2].

ونرى بين أعضاء المركز الماسوني الذي أسسه ملكم كتّاب ساروا على نفس النهج، منهم الميرزا يوسف خان مستشار الدولة، وصاحب كتاب *يك كلمة*، وهو من دعاة مزج الإسلام بآخر ما انتجته الحضارة الغربية ويصرح بضرورة تكميل الإسلام وتغييره وفق مقتضيات العصر، ولابد من تقليد أوربا في تنظيمات إدارة

---

١ - *تحقيق در افكار ميرزا ملكم خان*، (بالفارسية) نورايى، ص ١٠٢، طهران ١٣٥٢هـ . ش .

٢ - انديشه ترقى.، آدميت، ص ٦٤ و ٦٥ .

البلد، وإلا لا يمكن لدولة بغير ذلك أن يكتب لها البقاء.

ويقول: بين دول الغرب تعتبر بريطانيا أول وآخر سند وصديق لنا[1].

ومن رؤوس التغريب والمسخ في إيران فتح على آخوندزاده (آخوندوف). يقول عنه فريدون آدميت: ". في مدرسة الأفكار الجديدة يعتبر ميرزا فتح علي آخوند زاده (١٢٢٨ -١٢٩٥) من المبدعين. إنه يمثل التفكير العلمي الناقد، رائد كتابة المسرحية والقصة الأوربية في الشرق، مبتكر إصلاح الخط وتغيير الحروف الهجائية في المجتمعات الإسلامية، منتقد الأدب الكلاسيكي، ورافض التقليد في كتابة التاريخ، ومن دعاة أخذ العلم والحكمة والحضارة الغربية، واضع أسس التفكير القومي الإيراني، ومنتقد السياسة والدين، والمؤمن بانفصال الدين عن السياسة، وعدوّ الحكم الاستبدادي وكل حكم فردي، من أنصار المشروطة (الحكم الدستوري) العقلي، العرفي القائم على الحقوق الطبيعية. والمنادي بالاصلاح الديني، مفكر مادي متحلٍّ بأفكار منظمة مبوبة، ليس في نظام تفكيره تناقض أو تباين، كل ما يحمله هو أصالة المادة وسلطان العقل»[2].

وهذا النص الذي يمثل خلاصة شخصية آخوندزاده، على لسان

---

١ - تشيع ومشروطيت در إيران، (بالفارسية) عبد الهادي حائري، منشورات امير كبير، ط ١، طهران ١٣٦٠هـ.ش .

٢ -*انديشه هاى ميرزا آخوندزاده*، (بالفارسية) فريدون آدميت .

واحد من أنصاره والمستوعبين لحياته وأفكاره، يبين اتجاه الطبقة المثقفة أو المستنيرة!! وأهدافها وآمالها، وهي إصلاح الدين!! وفق نظرة مادية[1]، ثم إحياء القومية الإيرانية وتغيير الخط العربي واستبدال الحرف اللاتيني به، ثم الدعوة إلى النظام الدستوري، وهي دعوة لم تكن تستهدف القضاء على الحكم الفردي بقدر ما كانت ترمي إلى جعل زمام التقنين بيد عملاء الغرب وسد الطريق أمام فقهاء الشريعة ومنعهم من التدخل في شؤون المجتمع. وهذا هو الذي حدا بالشيخ الشهيد فضل الله نوري ـ كما ذكرنا ـ إلى إعلان المطالبة بالحكومة المشروعة بدل الحكومة المشروطة التي كان ينادي بها هؤلاء المهزومون أمام الغرب، وكان يشبّه هؤلاء المتغرّبين بالسامري الذي أضل قوم موسى، وكان ينادي قائلا: «أي أحمق يقبل أن يكون الكفر حاميًا للإسلام؟! وملكم النصراني حاميا للدين المبين؟!»[2].

ومن الأسماء البارزة بين المثقفين المتغربين الإيرانيين «عبد الرحيم طالب اوف». ولد في تبريز سنة ١٢٥٠هـ، وفي السابعة عشر من عمره هاجر إلى جنوب روسيا، وألف كتبًا في الاجتماع والسياسة وأرسلها إلى إيران، يبث فيها أفكاره بشأن إجراء إصلاحات في الدين! وتغيير الحروف العربية في الخط الفارسي[3].

---

١ -وهي محاربة الدين طبعًا ومحاولة إزالته من المجتمع باسم الاصلاح.

٢ - *تذكرة الغافل وإرشاد الجاهل*، فضل الله نوري، ص ١٨ .

٣ - *انظر: از گاتها تا مشروطيت*، (بالفارسية) محمد رضا فشاهي، ص ٣٩٢،

في كتابه *مسائل الحياة* يعقد حوارًا بين آقا رضا (وهو عالم ديني تقدمي) وأحمد آقا (مثقف مزود بالعلوم الحديثة) يتحدث فيه آقا رضا عن علوم الدين التي تعلمها، ويستهين بها، ويصفها بأنها «ألسنة الاموات، وأنها معلومات قد سقطت من حيّز الانتفاع وأصبحت من الخرافات!» ثم يبدأ بتوضيح عطاء العلوم الحديثة[1].

ماذكرناه من أسماء «مثقفين» متغربين إيرانيين إنما يمثلون الرعيل الأول، وتبعهم رهط كبير ألفوا في بثّ فكرة التغريب وإصلاح الإسلام (أو مسخ الإسلام) كثيرًا من الكتب والمقالات، وأسسوا المحافل والجمعيات، وكان لهم أكبر التأثير على الأدب والفكر والسياسة في إيران.

ويلاحظ في العقود الأخيرة من تاريخ إيران ظهور ردّ فعل بين المثقفين الإيرانيين تجاه الليبرالية الغربية، بعد أن سجّل الغرب أبشع صور مصادرة الحريات وظلم الناس واستعبادهم في بلدان الشرق الإسلامي. لكن ردّة الفعل هذه كانت كما يقول الأستاذ مالك بن نبي أشبه بصحوة إنسان لايزال يثقل جفونه نوم عميق[2]

طهران، ١٣٥٤هـ. ش؛ و*تاريخ مشروطه إيران*، (بالفارسية) احمد كسروي، ص ٦٢، ط ١٢، طهران، منشورات امير كبير.

١ - *مسائل الحياة*، (بالفارسية) عبد الرحيم ابن شيخ ابو طالب، ص ٤٩، مطبعة غيرت، تفليس ١٣٢٤هـ.ق.

٢ - *شروط النهضة*، مالك بن نبي، ترجمة مغاوى وشاهين، فصل دورة السياسة والفكرة.

فما اتجه هؤلاء المثقفون إلى الأصالة بعد أن صدمهم الغرب، بل اتجهوا إلى الغرب أيضًا، ولكن في إطار ماقدمه الغرب كبديل لليبرالية وهو الاشتراكية والشيوعية. وظهر «حزب توده» ليقدم الفكر الماركسي اللينيني في إطار إسلامي!! وظهرت تفاسير لآيات من القرآن الكريم ينحو فيها أصحابها منحى ماركسيًا ثوريًا!! وحتى الغيب فسروه بأنه: «المراحل التمهيدية لنمو الثورة التوحيدية، وفترة حدوث التحولات الكمية»[1].

يطول بنا الحديث لو أردنا استعراض كل جهود المتغربين في إيران لبث الأفكار المنحرفة عن الدين والتشكيك في المنهج الإسلامي الأصيل، لكننا أردنا تقديم نموذج من تلك الجهود، لنفهم عظم المهمة التي أخذها على عاتقهم دعاة الأصالة الإسلامية ودعاة إحياء الفكر الإسلامي في إيران، ومنهم الشهيد مطهري رضوان الله عليه.

مكافحة الانحرافات

الشهيد مطهري واجه في عملية الاحياء مشكلتين: الأولى: مشكلة الفئة المتحركة من الشباب والمثقفين الذين يتشبعون بأفكار الغرب ليبراليها واشتراكيها، ويحملون نظرات سلبية

---

١ - انظر: *ماتريالیسم در ایران*، مطبوع مع كتاب: *علل گرایش به مادیگری*، مرتضى مطهري، ص ٥ - ٥٢، ط ٨، طهران ١٣٥٧هـ . ش .

قاتمة عن الدين وعلماء الدين وكتب الدين. والثانية: مشكلة الفئة الجامدة الهامدة من المسلمين الإيرانيين التي تفتقد كل تحرك، وترى بأم أعينها ما يضج به المجتمع من فساد وانحراف، غير أنها تكل الأمر إلى اللّه وتنتظر الفرج الغيبي.

أهم ما نهض به الشهيد مطهري هو مكافحة الانحرافات الفكرية كمقدمة ضرروية لإحياء الدين في المجتمع، وهذا ما يؤكد عليه الإمام الخميني (قدس سره) في نعيه للشهيد مطهري إذ قال:

«مطهري كان لي ولدًا عزيزًا وللحوزات العلمية الدينية سندًا قويًا وللشعب والبلد خادمًا معطاءًا. ومايجب أن أقوله بشأنه هو إنه قدم خدمات جُلّى للإسلام والعلم.

إنه كان من النوادر في فهمه الإسلام ومختلف فنون الإسلام والقرآن الكريم.

لقد قضى عمره الشريف على طريق الأهداف الإسلامية المقدسة وقارع بشدّة الانحراف والالتقاط. وأنا أوصي الطلبة والمثقفين الملتزمين أن لا يَدَعوا كتب هذا الأستاذ العزيز يلفها النسيان بفعل دسائس أعداء الإسلام» [1].

الأستاذ الشهيد مطهري يوضح بنفسه أهدافه في نشاطاته الفكرية ويقول:

---

١ - *سيري در آثار استاد شهيد مطهري*، (بالفارسية) ستاد بزرگداشت سالگرد استاد، ص ٢٠ - ٢١، طهران ١٣٥٩ هـ . ش) .

«منذ سنة ١٣٣٠هـ. ش (استشهد في ١٣٥٨هـ. ش) حيث مسكت القلم لأكتب مقالا أو لأخُطَّ كتابًا ماكان أمامي هدف سوى حل المشاكل والإجابة على الاسئلة المطروحة في الشؤون الإسلامية المعاصرة. كتاباتي بعضها فلسفي وبعضها أخلاقي وبعضها اجتماعي وبعضها تاريخي ومع اختلاف موضوعات هذه الكتابات فإنها توخّت هدفًا واحدًا لا غير.

الدين الإسلامي الحنيف دين مجهول، حقائقه قد انقلبت بالتدريج في نظر الناس، والسبب الأساس في إعراض طائفة من الناس هو المفاهيم الخاطئة التي قدمت باسم هذا الدين. هذا الدين المقدس يتعرض في عصرنا الراهن أكثر من غيره إلى إساءة بعض أدعياء حماية الدين.

هجوم الاستعمار الغربي من جانب بعملائه المرئيين وغير المرئيين، وقصور أو تقصير كثير من أدعياء حماية الإسلام في هذا العصر من جانب آخر أدّى إلى تعرض الفكر الإسلامي باستمرار في الحقول المختلفة أصولا وفروعا إلى هجوم غادر.

من هنا فإنني ـ العبد الضعيف ـ رأيت أن واجبي يفرض عليّ العمل في هذا الميدان قدر استطاعتي:

لا أدّعي طبعًا أن الموضوعات التي تناولتها في كتاباتي كانت من أهم الموضوعات، ولكنّني أستطيع أن أدّعي بأني لم أتجاوز نطاق حل المسائل المستعصية في الفكر الإسلامي وعرض الحقائق كما هي بقدر الإمكان. وإن لم تستطع هذه الكتابات أن تحول

دون الانحرافات على الصعيد العملي، فلعلها تستطيع أن تقف بوجه الانحرافات الفكرية وخاصة في المجالات التي يتذرع بها أعداء الإسلام. وفي هذا المجال حاولت حسب تشخيصي رعاية الاولويات»[1].

تقديم الإسلام بلغة العصر

الأستاذ مطهري وجد أن مهمته الأولى هي تقديم الإسلام بلسان العصر، أو بعبارة أخرى الجمع بين الأصالة والمعاصرة، وبدون ذلك فإن الاتجاه الفكري في المجتمع الإسلامي سيتخذ أحد سبيلين: إما التقوقع والتخلّف والابتعاد عن روح العصر، وإما تحريف الإسلام باسم التقدمية والبروتستانتية. وإلى هذا يشير الأستاذ الشهيد في تحذيره روّاد النهضة الإسلامية إذ يقول:

«أنا باعتباري فردًا أحسّ بمسؤوليتي الإلهية أوجّه تحذيري إلى زعماء النهضة الإسلامية العظام، وأتم الحجة بيني وبين ربّ العالمين وأقول لهم: إن نشر الافكار الغريبة والتقاطها باسم الفكر الإسلامي وإضفاء الطابع الإسلامي عليها، سواء كان ذلك عن سوء نية أو عدم سوء نية، خطر يهدد كيان الإسلام. طريق مواجهة هذا الخطر لا تتمثل في المنع والحظر، وهل يمكن منع العطشى المتلهفين إلى الماء من تناول الماء بحجة أنه ملوث؟! إنها

---

١ - عدل الهى (الاصل الفارسي)، الشهيد مطهري، ص ٨ و٩.

مسؤوليتنا التي تفرض علينا أن نقدّم كتبًا بلغة العصر في الحقول الإسلامية المختلفة، لو أننا عرضنا ماء قراحًا سلسبيلاً بالمقدار الكافي لما اتجهوا إلى الماء الملوث.

طريق المواجهة هو عرض المدرسة الإسلامية بشكل صحيح في كل المجالات وبلغة العصر. حوزاتنا العلمية التي تموج اليوم بالنشاطات الاجتماعية يجب أن تعي مسؤوليتها العظيمة العلمية والفكرية. يجب أن تضاعف أعمالها العلمية والفكرية عشر مرات. يجب أن تعلم أن الاقتصار على الدراسات الفقهية والأصولية الرسمية لايلبي حاجات الجيل المعاصر»[1].

وهكذا يلخّص الأستاذ نشاطه الفكري والثقافي لإحياء الدين في المجتمع. ونجد مصداق ذلك فيما كتبه الأستاذ من مقالات وألقاه من محاضرات ودوّنه من كتب. فهو قد جمع أولا بين مختلف احتياجات المجتمع الفكرية، ابتداء بالفلسفة الإسلامية المعمّقة التي طرحها من خلال تعليقه على كتاب *اصول فلسفه وروش رئاليسم* (أصول الفلسفة والطريقة الواقعية) في خمسة أجزاء، وانتهاءً بكتابة القصص التربوية المبسطة المستقاة من السيرة والتاريخ الإسلامي في كتابه *داستان راستان* (قصص الصالحين)، في جزأين. لقد استطاع الشهيد مطهري أن يطرح

---

١ - نهضت هاى إسلامى در صد سال أخير (النص الفارسى)، الشهيد مرتضى مطهري، ص٧٥ .

القضايا الفلسفية من خلال معالجة الواقع الاجتماعي كما فعل في «علل گرايش به ماديگرى» (أسباب النزوع إلى المادية) وفي *العدل الإلهي*. وطرح الخطوط العامة لنظرة الإسلام إلى الكون والحياة، في عدة كتب تعالج موضوع التوحيد والنبوة والقيامة. وكتب دروسًا في العلوم الإسلامية كالعرفان والفلسفة والمنطق والكلام. وقارع النظرية المادية وتفسيرها للتاريخ والمجتمع في كتب عديدة، وتناول قضية المرأة من خلال كتب ومقالات عديدة، وحارب الالتقاط من خلال الكشف عن زيف الالتقاطيين وخوائهم الفكري. وله في تفسير القرآن وربط القرآن بالحياة دروس ومحاضرات ومقالات. وله في توضيح المفاهيم الإسلامية وبيان الانحرافات التي تراكمت على هذه المفاهيم باع طويل أيضًا. كل هذا يمثل جهدًا متواصلاً استمر قرابة ثلاثين عامًا في الجمع بين «الأصالة» و«المعاصرة»، من أجل إحياء الإسلام في مجتمع تكالبت عليه قوى الشر والضلال والانحراف لتبعده عن المسيرة الإسلامية الصحيحة.

جهاده السياسي

ولا يفوتنا أن نذكر هنا جهوده التي بذلها من أجل استنهاض الهمم وتحريك الطاقات وغرس روح التحرك وروح العمل والجهاد والشهادة في المجتمع، فقد كان لها تأثير كبير على دفع القطاعات المتقوقعة المنزوية إلى ساحة النشاط الاجتماعي

الرسالي، وعلى إزالة الأفكار والمفاهيم السلبية التي عشعشت طويلاً في اذهان الفئة المتدينة التقليدية تجاه العمل السياسي والنشاط الاجتماعي الإسلامي.

بقي أن نؤكد هنا أنّ الجهاد الفكري الطويل الذي خاضه الشهيد مطهري لا يعني انصرافه عن الجهاد من أجل القضاء على الطاغوت السياسي الحاكم في المجتمع. كل مصلح إسلامي حقيقي مخلص لا يمكن أن ينسى مهمة تحكيم الإسلام في كل مرافق الحياة وهو يخوض معترك الصراع الفكري.

الشهيد محمد باقر الصدر ـ مثلا ـ مع كونه رائد الفكر الإسلامي المعاصر، يرى أن صفة الانقلابية الثورية لا تنفك عن الإسلام وعن حركة الإنسان المسلم والمجموعة المسلمة، غير أن الظروف والملابسات هي التي تفرض طريقة ممارسة هذه الصفة[1]. ويرى أن نزعة «الانتقام من الجبارين» نزعة تكاملية لا يمكن للإنسان السائر على طريق الله أن يتخلى عنها[2].

والأستاذ الشهيد حسن البنا عُرف بدعوته الفكرية والأخلاقية والتربوية لكنه مثل سائر العاملين الملتزمين المخلصين كان يؤكد على دور القوة في تحقيق رضا اللّه تعالى وعلى ضرورة إعداد القوة اللازمة للمعركة العنيفة ضد الباطل. وجاء هذا

---

١ - *رسالتنا*، مقال: «رسالتنا فكرية انقلابية».

٢ - *خلافة الإنسان وشهادة الانبياء*، الشهيد الصدر، فصل مسار الخلافة على الارض.

التأكيد واضحًا في قوله: «وفي الوقت الذي يكون فيه منكم ـ معشر الإخوان المسلمين ـ ثلاثمائة كتيبة قد جهزت كل نفسها روحيًا بالإيمان والعقيدة، وفكريًا بالعلم والثقافة، وجسميًا بالتدريب والرياضة. في هذا الوقت طالبوني بأن أخوض بكم لجاج البحار، وأقتحم بكم عنان السماء، وأغزو بكم كل عنيد جبار، فاني فاعل إن شاء اللّه.»[1].

وهذا المفكر المسلم أبو الاعلى المودودي يشير إلى عقم الاكتفاء بأسلوب الوعظ والإرشاد فيقول:

«يُصبح من العبث الدعوة إلى الإسلام على طريقة التبشير المسيحي. ولو طبعت ملايين النشرات تدعو إلى التمسك بالإسلام وتصيح بالناس أن اتقوا اللّه صباح مساء، لما كانت ذات فائدة تذكر، اذ ماهي الفائدة العملية التي ستنجم عن تأكيد أن الإسلام صالح لكل زمان ومكان وأن فوائده ومزاياه ليس لها مثيل عن طريق القلم والخطابة؟ إن حاجة العصر تتطلب إبراز هذه المزايا بصورة عملية في عالم الواقع. إن مشاكل العالم المادية لن تحل بمجرد القول بأن الإسلام يملك حلها. إن قيمة الإسلام الذاتية لابد وأن تبرز إلى الوجود في هيئة نظام عملي مهيمن يلمس الناس آثاره ويجنون ثماره. إننا نعيش في عالم يقوم على الصراع والكفاح. والخطابة والوعظ لن تفلح في تغيير مجراه، ولكن

---

١ - *مشكلات الدعوة والداعية*، فتحي يكن، ص ٢٣٠ .

الكفاح الثائر وحده هو الذي يستطيع ذلك»[1].

والمودودي لا يريد أن يستهين طبعًا بدور الكلمة في الدعوة إلى اللّه، وهو الكاتب والواعظ والخطيب، بل يردّ على الذين يقنعون أنفسهم بالاكتفاء بالكلمة، إنه بعبارة أخرى يرد على تجار الكلمة وعلى المهزومين نفسيًا أمام بطش الجبارين، ويؤكد أن الكلمة الجادّة المخلصة لا تفترق عن الحركة الجادّة، وعن الكفاح الثائر، والعمل الجاد هو الدليل الوحيد على صدق جدّية الكلمة[2].

الشهيد مطهري كان أيضًا من المؤمنين بأن التغيير الاجتماعي في المنظور الإسلامي لا يمكن أن يتحقق دون ثورة كاملة تطيح بالمؤسسة السياسية الطاغوتية المتحكمة، لكن هذه الثورة لايمكن أن يكتب لها البقاء، ولا يمكن صيانتها من الزلل والانحراف إلا إذا ساندتها نهضة فكرية عميقة أصيلة تقدم الإسلام في جميع مجالات الحياة وفق مقتضيات العصر.

يقول: «كل نهضة اجتماعية يجب أن يكون لها سند من نهضة فكرية وثقافية، وإلا فسوف تقع في فخ التيارات التي تمتلك ثورة فكرية، وتتجه نحو هذه التيارات وتغيّر مسيرها. وقد رأينا أن الجماعات الفارغة من الفكر الإسلامي كيف سقطت

---

١ - رسالة: *داء المسلمين ودواؤهم*، المودودي، ص ١٥.

٢ - انظر: مقدمة كتاب *احياء الفكر في الإسلام*، الشهيد مطهري ص ٥ - ١٢.

كالذبابة في شراك بيت العنكبوت»[1].

ويقول في موضع آخر:

« لو استيقظ الشرق واكتشف هويته الإسلامية، فلا تستطيع حتى القنبلة الذرية أن تقف بوجه هذه القوة العظيمة، وهذه الجماهير الثائرة. وطريق هذه اليقظة التعرف على تاريخنا وثقافتنا وأيديولوجيتنا.» [2].

كانت هذه وقفة قصيرة ضرورية - في خاتمة مطافنا - عند حقيقة هامة هي أن الشهيد مطهري مثل سائر كبار المصلحين الإسلاميين المعاصرين ودعاة إحياء الفكر الإسلامي في العالم الإسلامي، لم يكن يرى العمل الفكري منفصلا عن العمل الثائر الرامي إلى حدوث انقلاب اجتماعي عام في المجتمع، بل كان يرى عملية الإحياء الفكري مقدمة ضرورية للتغيير الشامل، وضمانًا أكيدا لسلامة المسير وللوقاية من الزلل والانحراف.

---

١ -*نهضت های إسلامی در صد سال أخير* (النص الفارسي)، مطهرى، ص ٧٤ .

٢ - *پيرامون انقلاب إسلامى* (فارسى) ، مطهري، ص ١٢٥.

فنّ الخطبة
لدى الشهيد محمد باقر الصدر

عبد المجيد فرج الله*

• أضاف السيد محمد باقر الصدر جديدًا إلى فن الخطبة الدينية، بالإضافة إلى تقنية هامة طبعت خطب الصدر الشهيد • إن الخطبة لدى الصدر الشهيد كانت تعتمد أسلوب الخطابة الحديثة، وليست مقتصرةً على النمطية الخطابية القديمة • سداد الرأي وأصالة العقل وإثباته الحق ودحضه الباطل بالأدلة المعقولة واضح الظهور في خطبه • فيما يخص ملاحظته مستويات الحاضرين فهو يراعي ذلك تمامًا.

حينما نلقي الرحال عند واحة الشهيد الصدر الخطابية الخطابية تدهشنا المفردة المشحونة بالإيحاء، إضافة إلى أسلوب الهمس المؤثر الذي وشى خطبًا مشهورة له، منها خطبة «حب الدنيا». وقد أفاض الدكتور محمّد مندور في الحديث عن الهمس في الشعر العربي الحديث ونظر له[1]، إلاّ أن الهمس الخطابي الذي تميزت فيه مدرسة المنبر الحسيني في بعض أصنافها، كان

* ـ أديب وشاعر وباحث عراقي.

١ - لقد تناول الدكتور مندور مسألة الهمس في الشعر المهجري وغيره في عدد من بحوثه ومقالاته وكتبه وقد ثار ضده عدد من الأدباء والنقاد في سجال معروف.

له حضور هام على صعيد الذائقة الخطابية الشيعية تحديدًا، ومع ذلك فقد تفرد عن غيره همس محمّد باقر الصدر الخطابي، وهو همس خارج إطار المنبر الحسيني.

وهكذا فقد أضاف السيد محمد باقر الصدر جديدًا إلى فن الخطبة الدينية، بالإضافة إلى تقنية هامة طبعت خطب الصدر الشهيد، تلك هي شحن الخطبة بالعمق العلمي وتحريرها من المباشرة الخطابية والسطحية الجافة فكريًا، تلك التي ألقت بظلالها الكثيفة العميقة على مجمل الخطب الدينية في العصور المتأخرة، حيث نجد غالبية الخطب الدينية غير مشتملة على شروطها وأدواتها.

ولو اقتبسنا شيئًا من خطبته «حب الدنيا» وحاولنا المرور النقدي السريع عليها فاننا سنتعرف مزيدًا من الروعة والجمال.

جاء في خطبته المشار إليها:

«بسم الله الرحمن الرحيم. وأفضل الصلوات على سيد الخلق وآله الطيبين الطاهرين.

خرجنا مما سبق بنظرية تحليلية قرآنية كاملة لعناصر المجتمع ولأدوار هذه العناصر، وللعلاقة القائمة بين الخطين المزدوجين في العلاقة الاجتماعية: خط علاقات الإنسان مع أخيه الإنسان وخط علاقات الإنسان مع الطبيعة، وانتهينا على ضوء هذه النظرية

القرآنية الشاملة إلى أن هذين الخطين أحدهما مستقل عن الآخر استقلالاً نسبيًا، ولكن كلّ واحد منهما له تأثير في الآخر على الرغم من ذلك الاستقلال النسبي، وهذه النظرية القرآنية في تحليل عناصر المجتمع وفهم المجتمع فهمًا موضوعيًا تشكل أساسًا للاتجاه العام في التشريع الإسلامي ».

«ومن هنا نؤمن بأن الصورة التشريعية الإسلاميّة الكاملة لمجتمع هي في الحقيقة تحتوي على جانبين: تحتوي على عناصر ثابتة، وتحتوي على عناصر متحركة ومرنة، وهذه العناصر المتحركة والمرنة التي ترك للحاكم الشرعي أن يملأها فرضت أمامه مؤشرات إسلامية عامة أيضًا لكي يملأ هذه العناصر المتحركة وفقًا لتلك المؤشرات الإسلاميّة العامة.».

«وننصرف الآن من منطقة الفكر إلى منطقة القلب، من منطقة العقل إلى منطقة الوجدان. خاصة أن هذا اليوم هو اليوم الأخير، وسوف أودعكم فيه، إذ يبدأ التعطيل الموسمي في شهر رجب وشعبان والشهر المبارك، أريد أن نعيش معًا لحظات بقلوبنا لا بعقولنا فقط. بوجداننا. نريد أن نعرض هذه القلوب على القرآن الكريم بدلاً عن أن نعرض أفكارنا وعقولنا في هذه اللحظات الأخيرة، لحظات الوداع معكم، نعرض قلوبنا على القرآن الكريم، لمن ولاء هذه القلوب؟ هذه القلوب التي في صدورنا لمن ولاؤها ؟ ما هو ذلك الحب الذي يسودها ويمحورها ويستقطبها ؟

إن الله سبحانه وتعالى لا يجمع في قلب واحد ولاءين، لا يجمع حبين مستقطبين إما حب الله، وإما حب الدنيا. أما حب الله وحب الدنيا معًا فلا يجتمعان في قلب واحد فلنمتحن قلوبنا، لنرجع إلى قلوبنا لنمتحنها ؛ هل تعيش حب الله سبحانه وتعالى أو تعيش حب الدنيا ؟ فإن كانت تعيش حب الله زدنا ذلك تعميقًا وترسيخًا وإن كانت ـ نعوذ بالله ـ تعيش حب الدنيا حاولنا أن نتخلص من هذا الداء الوبيل. من هذا المرض المهلك.

إن كلّ حب يستقطب قلب الإنسان يتخذ إحدى صيغتين، وإحدى درجتين:

الدرجة الأولى: أن يشكل هذا الحب محورًا وقاعدة لمشاعر وعواطف وآمال وطموحات هذا الإنسان قد ينصرف عنه في قضاء حاجته في حدود خاصة، ولكن يعود، سرعان ما يعود إلى القاعدة لأنها هي المركز وهي المحور. قد ينشغل بحديث أو ينشغل بعمل، بطعام بشراب، بمواجهة، بعلاقات ثانوية، بصداقات، لكن يبقى ذلك الحب هو المحور. هذه هي الدرجة الأولى.

والدرجة الثانية من الحب المحور: أن يستقطب هذا الحب كلّ وجدان الإنسان بحيث لا يشغله شيء عنه على الإطلاق، ومعنى أن لا يشغله شيء عنه أنّه سوف يرى محبوبه قبلته وكعبته أينما توجه، أينما توجه سوف يرى ذلك المحبوب هذه هي

الدرجة الثانية من الحب المحور.

هذا التقسيم الثنائي ينطبق على حب الله، وينطبق على حب الدنيا. حب الله سبحانه وتعالى ـ الحب الشريف لله المحور ـ يتخذ هاتين الدرجتين:

الدرجة الأولى: يتخذها في نفوس المؤمنين الطاهرين الّذين نظفوا نفوسهم من أوساخ هذه الدنيا الدنية، هؤلاء يجعلون حب الله محورًا لكل عواطفهم ومشاعرهم وطموحاتهم وآمالهم.

وأما الدرجة الثانية: فهي التي يصل إليها أولياء الله من الأنبياء والأئمة عليهم السلام، علي بن أبي طالب الذي نحظى بشرف مجاورة قبره، هذا الرجل العظيم كلكم تعرفون ماذا قال، هو الذي قال: «إني ما رأيت شيئًا إلاّ ورأيت الله معه وقبله وبعده وفيه». لأن حب الله في هذا القلب العظيم استقطب وجدانه إلى الدرجة التي منعه من أن يرى شيئًا آخر غير الله.

نفس التقسيم الثنائي يأتي في حب الدنيا، الذي هو «رأس كلّ خطيئة» على حد تعبير رسول الله صلى الله عليه وآله، حب الدنيا يتخذ درجتين:

الدرجة الأولى: أن يكون حب الدنيا محورًا للإنسان، قاعدة للإنسان في تصرفاته وسلوكه، يتحرك حينما تكون المصلحة الشخصية في أن يتحرك، ويسكن حينما تكون المصلحة الشخصية في أن يسكن، يتعبد حينما تكون المصلحة الشخصية

في أن يتعبد وهكذا، الدنيا تكون هي القاعدة..

وأما الدرجة الثانية من هذا المرض الوبيل: فهي الدرجة المهلكة، حينما يعمي حب الدنيا هذا الإنسان، يسد عليه كلّ منافذ الرؤية. بحيث إن الإنسان لا يرى شيئًا إلاّ ويرى الدنيا فيه وقبله وبعده ومعه، حتّى الأعمال الصالحة تتحول عنده وبمنظاره إلى دنيا.

علينا أن نحذر من حب الدنيا، لأنه لا دنيا عندنا لكي نحبها، ماذا نحب؟ نحب الدنيا، نحن الطلبة؟ ما هي هذه الدنيا التي نحبها ونريد أن نغرق أنفسنا فيها ونترك رضوانًا من الله أكبر؟ نترك مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا اعترض على خيال بشر ماهي هذه الدنيا؟ دنيانا هي مجموعة من الأوهام، كلّ دنيا وهم لكن دنيانا أكثر وهمًا من دنيا الآخرين. مجموعة من الأوهام.».

«لسنا نحن أولئك الّذين تركع الدنيا بين أيدينا لكي نؤثر الدنيا على الآخرة. دنيا هارون الرشيد كانت عظيمة، نقيس أنفسنا بهارون الرشيد. نحن نقول: إننا أفضل من هارون الرشيد، أورع من هارون الرشيد، أتقى من هارون الرشيد. عجبًا، هل عرضت علينا دنيا هارون الرشيد فرفضناها؟ حتّى نكون أورع من هارون الرشيد. يا أولادي، يا إخواني، يا أعزائي، يا أبناء علي هل عُرضت علينا دنيا هارون الرشيد؟ لا. عُرضت علينا دنيا هزيلة محدودة ضئيلة دنيا ما أسرع ما تتفتت، ما أسرع ما تزول، دنيا لا

يستطيع الإنسان أن يتمدد فيها كما كان يتمدد هارون الرشيد، هارون الرشيد يلتفت إلى السحابة يقول: أينما تمطري يأتني خراجك في سبيل هذه الدنيا سجن موسى بن جعفر، هل جربنا أن هذه الدنيا تأتي بيدنا ثم لا نسجن موسى بن جعفر ؟ جربنا أنفسنا؟ طرحنا هذا السؤال على أنفسنا ؟ كلّ واحد منا يطرح هذا السؤال على نفسه بينه وبين الله.

إن هذه الدنيا دنيا هارون الرشيد كلفته أن يسجن موسى بن جعفر، هل وضعت هذه الدنيا أمامنا لكي نفكر بأننا أتقى من هارون الرشيد ؟ !(١)

إن هذه المقاطع من خطبة الصدر لو عرضناها سريعًا على مسبار النقد لخرجنا بعدة نتائج:

الأول: إن الخطبة لدى الصدر الشهيد كانت تعتمد أسلوب الخطابة الحديثة، وليست مقتصرةً على النمطية الخطابية القديمة مع عراقتها عربيًا وتنوعها، كما يبدو ذلك جليًا من خلال تطورات الخطابة بعد ظهور الإسلام وبروز خطباء مصقعين كالرسول الأعظم صلى الله عليه وآله والإمام علي عليه السلام، ثم أصبحت لها بعد نهضة العرب والمسلمين في الفترة المتأخرة المميزات والتطلع معًا، ولذلك «تمتاز الخطابة الحديثة بسعتها

---

١ - ـ الخطبة التي ألقاها في ٥: رجب: ١٣٩٩ هـ وراجع: هكذا قال الصدر في المحنة وحب الدنيا ، اعداد ميثم الجاسم: ٧٣ ـ ٨٩ .

وتنــوع موضــوعاتها وحريــة أســلوبها، وسمــات أفرزهــا الواقــع والتحدي، فبعد أن كانت قبل النهضة ضيقة النطاق تغلب عليها الصناعة ويسودها الإسفاف والتكلف المستهجن أصبحت واسعة المجال تجري في طريق التعبير المرسل الحر»[1].

الثانية: تمكنه من شروط الخطابة وآدابها المقررة، إلى حد أنها كانت واضحة في خطبه المرتجلة دون أن يكون فيها أي تكلف أو تشنج أو تهافت وكأنها إحدى سجاياه التي طبع عليها مع أن مضماره هو مضمار البحث العلمي والدراسات الفقهية والأصولية والفكرية العميقة جدًا، وهذا نمط مختلف عن فضاءات الخطبة التي تخاطب الجماهير ببساطة، وتحاول التأثير بهم ورفع مستوياتهم بوضوح ومباشرة سطحية بعض الأحيان.

ولو أخذنا صفات الخطيب التي لابد أن يتحلى ويتسم بها لتكن لديه آداب الخطابة السليمة، لوجدناها متوفرة عنده كاملة بل نجده قد أضفى عليها لمسات مؤثرة خاصة به.

يقول الأستاذ علي محفوظ معددًا صفات الخطيب:

«الصفة الأولى: سداد الرأي وأصالة العقل، وتمييزه لوجوه الأمور ومعضلات المشاكل ليهتدي إلى إثبات الحق وإدحاض الباطل بالأدلة المعقولة، حتّى يتأثر السامع لقوله وينقاد له.

---

١ - أنيس المقدسى، الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة: ٣٩٩، دار العلم للملايين: ١٩٨٠.

الصفة الثانية: صدق اللهجة، وصحة القول، وحسن السيرة، ليقع في نفوس السامعين خلوص نيته واستقامة عمله وحرصه على الحقيقة.

الصفة الثالثة: التودد إلى الناس وموجبات التحبب إليهم كثيرة، منها التحلي بالوقار والتصون والوفاء والأمانة والعفة وعزة النفس وعلو الهمة.

الصفة الرابعة: رباطة الجأش، وشدة القلب.

الصفة الخامسة: البديهة الحاضرة، وسرعة الخاطر.

الصفة السادسة: أن يكون طلق اللسان بريئًا من الحصر والعي واللجلجة والتمتمة والفأفأة والجمجمة والثرثرة وسماجة التكلف والاغراب.

الصفة السابعة: الحذق في إدراك مقتضى الحال، وملاحظة طوائف الناس من الأعلين إلى الأوساط والأدنين، فيختار من الألفاظ ما يناسب كلّ طبقة، ولا يجرح أحدًا ممن يتحبب الأوساط والأدنين، حتّى تبقى لخطابته هزة في كلّ قلب، وتستريح لمغزاها كلّ نفس.

الصفة الثامنة: المهارة في إثارة العواطف وتحريك أهواء النفوس، حتّى يجعل أزمة الحب والبغض والرغبة والنفور والفرح والحزن والرجاء واليأس والشجاعة والخوف والحمية والأنفة والحلم والغضب وغيرها من مشاعر النفس في قبضة يده.

الصفة التاسعة: سعة الاطلاع.

الصفة العاشرة: التجمل في شارته وإشارته وملابسه وهيئته. وهذا وإن لم يكن من الصفات التي تقوم عليها الخطابة إلاّ أنّه أمر يجب العناية به، لأنه مطمح الأنظار، والنظر يفعل في القلوب ما يفعل السمع.»[1].

وهذه الشروط أو المقومات أو الصفات واضحة في خطبته، فسداد الرأي وأصالة العقل وإثباته الحق دحضه الباطل بالأدلة المعقولة واضح الظهور في هذه الخطبة وغيرها، وصدق لهجته وصحة أقواله وحسن سيرته وخلوص نيته واستقامة عمله لا يناقش فيها مناقش، ووقاره ووفاؤه وأمانته وعفته وعزة نفسه وعلو همته لا يشك فيها شاك، ورباطة جأشه وشدة قلبه وبديهته الحاضرة وسرعة خاطره يشهد بها كلّ من رآه وسمعه، وطلاقة لسانه لا يعكرها إلاّ عدم إشباع خروج حرف الراء من مخرجه بشكل تام وهذا ما أعطى نبرة صوته الوديع وقعًا محببًا لأن لثغته بالراء بسيط وغير مشين، أما ما عدا ذلك من هنأت اللفظ فلا وجود له ناهيك عن التكلف والأغراب، فلغة الصدر واضحة بسيطة مترسلة معبرة.

وفيما يخص ملاحظته مستويات الحاضرين فهو يراعي ذلك

---

١ - علي محفوظ ، فن الخطابة وإعداد الخطيب: ٤١ ـ ٤٤ ، دار الاعتصام .

تمامًا، وفي هذه الخطبة الملقاة أساسًا على طلبة العلوم الدينية في حوزة النجف الأشرف نجد حتّى الكلمات التي تكررت باستمرار في حلقات الدروس من قبيل قوله: «ما هي قيمة هذه الصلاة؟ ما هي قيمة هذا الصيام؟ وما هي قيمة العفة عن شرب الخمر إذا كان حب الدنيا هو الذي يملأ القلب؟». فمسائل الصلاة والصيام أقرب إلى انشغالهم وترك هاتين الفريضتين أو شرب الخمر واضح قبحه وشناعته لديهم فاختاره مثلاً.

وأما مهارته في إثارة عواطف المتلقين ففي ما اقتطفنا من المقارنة بين حالهم وحال هارون الرشيد ما يكفي للتدليل عليها، ومثله قوله في الحديث عن قرب أجله: «أبي لم يعش في الحياة أكثر مما عشت حتّى الآن، أخي لم يعش في نفس الحياة أكثر مما عشت حتّى الآن، أنا الآن استوفيت هذا العمر، من المعقول جدًا أن أموت في السن التي مات فيها أبي».

وفيما يخص سعة اطلاعه فحدث ولا حرج.

وأخيرًا فهيئة السيد الصدر وهيبته وملابسه المذكرة بملابس الرسول الكريم صلى الله عليه وآله، وملامح وجهه المهيب وصوته الخاشع كأنه تسبيح كلها عوامل تتظافر مع الصدق في النصيحة والالتزام الكامل مع التطبيق لكل ما ينصح به ويدعو له، دون أدنى تكلف أو ادعاء أو رياء، كلّ ذلك وغيره جعل خطبة الصدر موثرة ناجحة.

مجمع البيان نموذج للمنهج التقريبي في التفسير [1]

محمد واعظ زاده الخراساني *

• إن تفسير *جوامع الجامع* ونظرًا لشموليته وما يتمتع به من بلاغة وإيجاز، يعتبر من أفضل التفاسير الخاصة بالتدريس • الأمر الملفت للنظر والبالغ الأهمية هو ما يتصف به المرحوم الطبرسي من إنصاف وتأدب وطهارة نفس ونزاهة من التعصب الطائفي • الطبرسي أزال مواطن الخلل الموجودة في كتاب *مسائل الخلاف*، من بينها الاستدلالات الضعيفة للشيخ الطوسي.

التفسير القيم *مجمع البيان*" واحد من ثلاثة تفاسير للشيخ الجليل أمين الإسلام الفضل بن الحسن الطبرسي (المتوفى عام ٥٤٨هـ) وهو أولها وأساس التفسيرين الآخرين أي *الكافي الشافي* و*جوامع الجامع*.

---

١ - كتب بمناسبة إعادة «المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية» طباعة تفسير «مجمع البيان» للطبرسي (١٩٩٧) على النسخة التى نشرتها دار التقريب في القاهرة (١٩٧٠).

* - الأمين العام السابق للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

إنّ التعريف بهذا العالم ومقامه الشامخ وترجمة حياته ممّا لا يَسَعُ له هذا الموجز، وقد دُونت المقالات بل الكتب في هذا المجال، وما يأتي في هذه السطور إنّما يوضّح بنحو موجز قيمة هذا التفسير النفيس.

ينحدر أمين الإسلام الطبرسي من عائلة علميّة جليلة، وأصله من مدينة «تَفْرِش» ومن ثمّ هاجر إلى خراسان، وأصل كلمة «طَبْرِس» يعود إلى «تَفْرِش».

كان هذا العالم نزيل مشهد المقدسة، وفي أواخر حياته انتقل إلى سبزوار حيث توفي فيها، وحمل جثمانه إلى مشهد ـ (بلد الإمام الرضا عليه السلام) - ودفن في مكانه الحالي، وكانت مقبرة كبيرة، وشارع الطبرسي سمّي باسمه، بيد أنّه وبعد إجراء المشروع الضخم لتطوير ما حول حرم الإمام الرضا(عليه السلام) نُقل قبره إلى وسط تلك المقبرة.

وحسب قول البيهقي المعاصر له في كتابه *تاريخ بيهق* : كان نشاط هذا العلامة منصبًّا على تلخيص وتحرير كتب الآخرين، فتفسير *مجمع البيان* ـ استنادًا إلى ما ذكره في مقدمته ـ تطوير لتفسير *التبيان* للشيخ الطوسي (٣٨٥ ـ ٤٦٠هـ) كما أنّ كتاب *المؤتلف من المختلف بين أئمة السلف* في الفقه التطبيقي أو مسائل الخلاف هو تطوير وتحرير جديد لكتاب *مسائل الخلاف* للشيخ الطوسي أيضًا.

وقد اشتهر في عصره بمختلف العلوم الشائعة آنذاك كالتفسير والفقه والكلام والسيرة وتاريخ الأئمة وألّف الكتب في جميع هذه الفروع.

وكما هو واضح من كتبه لاسيّما تفسيريه المعروفين مجمع *البيان* و*جوامع الجامع* فإنّه ضليعٌ ومتبحرٌ في اللغة العربية وقواعدها، ويحرر العبارات العربية بغاية الجزالة والفصاحة والايجاز، وله ولع شديد بطرائف الأدب، وهذا التبحر والتعمق دفعه إلى كتابة *الكافي الشافي* الذي يضمّ بين دفتيه الظرائف الأدبية لتفسير الكشاف للزمخشري (المتوفى عام ٥٣٨هـ) هذه الظرائف التي يفتقدها تفسير *مجمع البيان*، ولو ضمّت اليه لأصبح أكثر شمولية. وهنا نكتفي بذكر بعض ما قاله الطبرسي في فاتحة كتاب *جوامع الجامع*.

١ - ذُكر في ترجمة الطبرسي أنّ له ثلاثة تفاسير وهي: الكبير والصغير والأوسط، إلا أنّ تشخيصها يتعذّر بدون مطالعة تلك الفاتحة، فنقرأ فيها أن الطبرسي ألّف في البدء تفسيره الكبير والأول *مجمع البيان* وبعد الوقوف على تفسير *الكشاف* اقتطف من طرائفه الأدبية وظرائفه البلاغية وأسماها *الكافي الشافي* وبعد إلحاح من ولده (أبي النصر الحسن) جمع تلك الطرائف والظرائف من كلا الكتابين وأوجزها في كتاب ثالث هو *جوامع الجامع*.

وهنا نعرف أن التفسير الكبير له هو *مجمع البيان في تفسير القرآن* الذي عبّر الطبرسي نفسه عنه في هذه الفاتحة بـ "الكبير"، وعلى الأرجح فإنّ التفسير الصغير هو *الكافي الشافي* والاوسط هو *جوامع الجامع*، أو بالعكس[1]. ، أي أن الأخير هو الصغير والكافي هو الأوسط، وعلى أية حال فلم يدوَّن تفسير آخر غير هذه الثلاثة بقلم هذا العالم.

ولو عثرنا على تفسير *الكافي الشافي* وقُدّر له النشر سيكون بين أيدينا التفاسير الثلاثة لهذا الرجل العظيم، ومن خلال المقارنة والمطابقة بينها ستتضح لدينا المواضيع التي اختارها من تفسير الكشاف، لكن بما أنا نفتقده فبامكاننا ومن خلال مطابقة ما ورد في *جوامع الجامع*" مع *مجمع البيان والكشاف* معرفة مدى استفادته من هذين التفسيرين وطريقة اختياره للموضوعات، ومن خلال التمعّن في مضامين هذين التفسيرين نستشف أن الطبرسي قد جهد في جمع المطالب المهمة والبارزة فيهما أو ظرائفهما في كتابه الثالث *جوامع الجامع*.

٢ - إن تفسير *جوامع الجامع* ونظرًا لشموليته وما يتمتع به من بلاغة وإيجاز، يعتبر من أفضل التفاسير الخاصة بالتدريس، وأثناء أيام دراستي في قم (خلال السنوات ١٣٢٨ هجرية وما بعدها)

---

١ - الطبرسي صرّح في مقدمة *جوامع الجامع* بأن هذا الكتاب وسط بين *مجمع البيان* و*الكافي الشافي* ومع ذلك يُحتمل العكس.

كان المرحوم آية الله الشيخ الحاج الميرزا أبو الفضل الزاهدي يدرسه للطلبة، ومن بين تفاسير الشيعة الإمامية بوسعنا معادلة هذا التفسير بتفسير البيضاوي المسمّى *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، وهذا الأخير من كتب التدريس في مدارس أهل السنة، وكان يدرَّس في حوزات الشيعة أيضًا حتى عهد الشيخ البهائي (المتوفى عام ١٠٣٠هـ)على الأقل، ولهذا كتب المغفور له الشيخ البهائي آراءه على تفسير البيضاوي تعليقًا عليه أثناء تدريسه لهذا التفسير، ومن المناسب مطابقة هذه التعليقة مع النص لمعرفة قدرة الشيخ البهائي في علم التفسير.

كما أن المغفور له الفيض الكاشاني (المتوفى عام ١٠٩٣هـ) كان يلجأ إلى العبارات القصيرة والبارزة من تفسير البيضاوي في تأليفه لتفسير *الصافي* الذي يستند إلى روايات أهل البيت(عليهم السلام) ، وهذا الأمر سيتضح أيضًا من خلال المقارنة بين هذين التفسيرين.

٣ - الأمر الملفت للنظر والبالغ الأهمية هو ما يتصف به المرحوم الطبرسي من إنصاف وتأدب وطهارة نفس ونزاهة من التعصب الطائفي، وهو ما يستشف بوضوح من تفسير *جوامع الجامع* وفاتحته، فهو يعترف بصراحة بفضل العلامة الزمخشري المعاصر له وعلمه وأهليته ونفاسة تفسيره الموسوم *بالكشاف*، بالرغم من اختلافهما في المذهب والمسلك، فقد كان الطبرسي

عالم الشيعة الإمامية وزعيمهم، وكان معروفًا في عصره لدى أتباع أهل البيت(عليهم السلام) لاسيّما أهل سبزوار المعروفين بولائهم الشديد لأهل البيت(عليهم السلام).

أما الزمشخري فقد كان عالمًا ذائع الصيت في أوساط أهل السنة ومن المدافعين الأشداء عن مذهب المعتزلة، مع هذا فإن الطبرسي لا يتردد في مدحه والثناء عليه، كما ينبغي وكما يستحقه في كتابه، ليخلّفه وثيقةً تقريبيّةً للأجيال التالية.

هذا الاعتراف يعبّر عن طهارة نفس وإنصاف ذلك العالم وصفاء قلبه من كل أنواع التعصب الطائفي، وهو مايجب أن يتحلى به كل العلماء، لاسيما في عصرنا الراهن الذي يتعرّض فيه الإسلام العظيم للتهديد، وتتعرض فيه بيضة الإسلام للخطر، حيث يشن أعداء الإسلام من الشرق والغرب، من الهندوس المشركين والنصارى واليهود الذين يتظاهرون بأنهم أهل الكتاب، والملحدين الذين لا دين لهم، وأرباب السياسة السلطويين هجومهم العسكري والثقافي والعلمي والصناعي ضد الإسلام.

ففي مثل هذا الوقت تعتبر الوحدة الإسلامية والوئام بين المذاهب الإسلامية من أهم الواجبات، وهذا ما يتحقق بالتحلّي بالإنصاف ومراعاة الأدب، وليس مفروضًا على أحد التخلّي والعدول عن مذهبه الذي تربى عليه وألفه.

هذا هو الهدف المقدس الذي أوصى به الرسول الأكرم(صلى الله عليه وآله) وأئمة أهل البيت(عليهم السلام) علماء الإسلام وقادته في الماضي والحاضر، ومن بينهم رأس مراجع الشيعة وعلماؤهم في زماننا المغفور له آية الله العظمى السيد البروجردي (المتوفى عام ١٣٨٠هـ) والإمام الخميني (رضوان اللّه عليهما) اللذان أكدا على هذا الأمر أكثر من غيرهما.

ولهذا الغرض وبناءً على الأمر الصادر من قائد الثورة الإسلامية سماحة الامام السيد علي الخامنئي فقد جاء تأسيس «المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة» في الجمهورية الإسلامية في إيران.

وفي نظري فإنّ أحد السبل الكفيلة لبلوغ هذا الهدف هو نشر وإشاعة مثل هذه الكتب . والعجيب أنّ المدافعين ودعاة التقريب بين المذاهب ممّن سبقونا في هذا المشروع العظيم قد اهتموا بهذا الأمر وأشاروا إلى أمين الإسلام الطبرسي وتفسيريه *مجمع البيان* و*جوامع الجامع* من بين آلاف العلماء وعشرات التفاسير.

فقد كتب المغفور له الشيخ محمود شلتوت (شيخ جامع الأزهر سابقاً وكان من مؤسسي «دار التقريب بين المذاهب الإسلامية» في القاهرة، وممّن بذلوا الجهود في التقريب بين المذاهب - مقدمة لتفسير *مجمع البيان* الذي طبعته «دار التقريب»، ونشرت المقدمة في مجلة «رسالة الإسلام» في عددها الثالث للسنة العاشرة ، قبل

نشر تفسير *مجمع البيان* من قبل دار التقريب وفيها يركز على:

أولا: إنصاف الطبرسي وصفائه الباطني ونزاهته من كلّ تعصب طائفي، والشاهد على ذلك تبجيله للعلامة الزمخشري وتفسيره *الكشاف* على ما بينهما من اختلاف مذهبي.

وفي هذا المضمار قارن الباحث بعض العبارات من *جوامع الجامع* مع *الكشاف* و*مجمع البيان* وأثبت أن الطبرسي وفى بعهده واقتطف بعض المسائل والطرائف الخاصة بالكشاف التي يخلو منها *مجمع البيان* ودوّنها في *جوامع الجامع*.

ثانيًا: إن الطبرسي أورد أقوال السلف من المفسّرين بكل أمانة وحياد دون النظر إلى مذاهبهم مضيفًا إليها ما ورد عن أهل البيت(عليهم السلام)، أو أنّه يذكر بشأن أحد الأقوال: «وهو المروي عن أئمتنا» وربّما يرجّح ما قاله الآخرون على ما هو منسوب إلى أئمة أهل البيت(عليهم السلام) قائلاً: «هذا القول هو الأقرب إلى ظاهر القرآن».

ثالثًا: إنّ تفسير *مجمع البيان* بما فيه من مزايا يفضل على جميع تفاسير القرآن المؤلفة من قبل علماء الإسلام على اختلاف مسالكهم ومذاهبهم طوال مئات السنين وهذا نص كلامه: «إن هذا الكتاب نسيج وحده بين كتب التفسير، وذلك لأنه مع سعة بحوثه وعمقها وتنوعها، له خاصية في الترتيب والتبويب، والتنسيق والتهذيب، لم تعرف لكتب التفسير من قبله، ولا تكاد تعرف لكتب التفسير من بعده».

هذا الاعتراف من قبل الشيخ شلتوت بحد ذاته يعتبر شاهدًا على طهارة نفسه ونزاهته هو الآخر، وهو في الحقيقة جزاء لتبجيل وإكرام الطبرسي للزمشخري.

نعم، إن مثل هؤلاء العلماء بإمكانهم توحيد المسلمين على اختلاف مذاهبهم ونحلهم وتقريب مذاهبهم، وإعادة مياه الإسلام إلى مجاريها من خلال أعمالهم هذه، وما علينا إلا الابتهال إلى الباري عزّ وجلّ أن يزيد من أمثال هؤلاء العلماء والمصلحين في جميع المذاهب الإسلامية، هؤلاء الذين تنبض قلوبهم من أجل الأُمة الإسلامية جمعاء ــ في حين أنّهم ثابتون على مذاهبهم، ملتزمون بها ــ ولكنهم يقدّمون مصلحة الإسلام العليا على مصلحة مذهبهم الخاص بهم.

جدير بالذكر أن الشيخ شلتوت لم يتسنّ له الاطلاع على كتاب *المؤتلف من المختلف بين أئمة السلف* الذي ألّفه الشيخ الطبرسي، وهو تحرير لكتاب *مسائل الخلاف* للشيخ الطوسي، لأنه لم يطبع ولم ينشر حينذاك، وقد طُبع مؤخرًا من قبل مؤسسة التحقيقات الإسلامية التابعة للروضة الرضوية المباركة باشتراك منّا في تصحيحه وإخراجه.

فمن خلال مقدمة هذا الكتاب يستشف أن الطبرسي أزال مواطن الخلل الموجودة في كتاب *مسائل الخلاف*، من بينها الاستدلالات الضعيفة للشيخ الطوسي، وحذف دعاواه المتكررة

حول مسائل الإجماع، وشخّصها بعلامة (ج).

وما يلفت النظر هو اسم هذا الكتاب الذي يعاكس الكتاب الأصلي *مسائل الخلاف* فالطبرسي وقبل أن يهتمّ بقضايا الاختلاف أولى اهتمامه بالقضايا التي هي محلّ اتفاق، وجعل اسم الكتاب ينسجم مع هذا الدافع المقدس، واختار ما يحظى بالاتفاق والائتلاف من بين قضايا الاختلاف، وعبّر عن أصحاب هذه الآراء المختلفة من العلماء الماضين بأئمة السلف.

هذا الاسم ذكّرني باسم كتاب «أبي الحسن الأشعري» إمام الأشاعرة *مقالات الإسلاميين واختلاف المصلّين* ففي هذا الكتاب ذكر الأشعري المذاهب الإسلامية بما كانت عليه بشكل مهذّب وبغاية الأمانة، وبالرغم من اعتقاده بأن مذهب الحق هو مذهب أهل الحديث الذي اشتهر فيما بعد بمذهب الأشاعرة نسبةً إلى هذا الامام، فقد عبّر عن سائر المذاهب بالمذاهب الإسلامية، ووصف اختلافهم باختلاف المصلّين، واصفًا المسلمين قاطبة بأنهم أهل القبلة والصلاة، على العكس من أولئك الذين يرمون غيرهم من المسلمين بالشرك ويحلّون سفك دمائهم!

نسأل اللّه أن يهدينا جميعًا سواء السبيل. وهو دون شك سبيل تركيز عزّة المسلمين وسؤددهم، المتمثّل عمليًا في تقريب قلوبهم، وتوحيد صفوفهم، وإزالة الحواجز النفسية التاريخيّة بين فئاتهم ومذاهبهم، إنه تعالى سميع مجيب.

من أفكار الشيخ محمد الغزالي

في دستور الوحدة الإسلامية

• لقد مرّ التاريخُ الإسلامي بمعارك كلاميّة كنّا والله في غنى عنها • السلفية ليست فرقة تسكن بقاعًا من جزيرة العرب وتحيا على نحو اجتماعي معيّن • الحديث النبوي ليس حكرًا على طائفة بعينها من المسلمين، بل إنه مصدر رئيسي للفقه المذهبي كله • رأيت ناسًا تغلب عليهم البداوة، يكرهون المكتشفات العلمية الحديثة ولا يحسنون الانتفاع بها في دعم الرسالة الإسلامية • إن العالم الإسلامي الآن متخلّف حضاريًا، ومضطرب أخلاقيًا واجتماعيًا وسياسيًا، وبينه وبين الأمم القائدة الصاعدة أمد بعيد • السلفية هنا عنوان كبير لحقيقة كبيرة أساسها العقل الحر المكتشف الدؤوب • إننا محتاجون إلى فقهاء يستطيعون النظر في سياسة المال والحكم • إن الفقه الإسلامي كما قدمه سلفنا حضارة معجزة، أما الفقه الإسلامي كما يقدمه البعض الآن فهو يميت ولا يحيي • إن المسلمين المعاصرين نسوا ضياع التركستان والقرم، ولم ينسوا الخلاف على الجهر بالبسملة أول الفاتحة • إن التعصب لرأى أحد الفقهاء غباء، اعمل به إن شئت، ولا تستحمق إذا رأيت غيرك يعمل بضده.

احترام الرأي المخالف

من المبادئ التي التزم بها العلماء المسلمون على مرّ العصور احترام الرأي الفقهي المخالف.

يقول الغزالي: «والفقهاء المجتهدون ـ وإن اختلفت آراؤهم ـ يحترم بعضهم بعضًا، ويحترم حريته في مخالفته ـ وقد رأينا مالك بن أنس يرفض حمل الناس على مذهبه في كتاب الموطّأ، ويقول: إن أصحاب رسول الله (ص) تفرقوا في الأمصار وقد يكون لديهم مافاته.

وقد أنكر ابن مسعود إتمام الصلاة الرباعية أيام التشريق، لما بلغه أن عثمان فعل ذلك، وقد رُئي ابن عباس بعدها يصلّي وراء عثمان مُتمًّا فلما كُلّم في صنيعه قال: أكره الخلاف ..!

وقد كان أحمد بن حنبل يرى أن الحجامة تنقض الوضوء، فسُئل عمّن رأى الإمام احتجم وقام إلى الصلاة ولم يتوضّأ، هل يُصلّي الإمام خلفه؟ فقال رضي الله عنه: كيف لا أصلّي خلف مالك وسعيد بن المسيب؟..

وروي أن الشافعي ترك القنوت في صلاة الصبح لما صلّى مع جماعة من الأحناف في أحد مساجد بغداد، وذلك رعاية لأدب الإسلام، ورغبة عن الخلاف...».

ويشير الغزالي إلى موقف ابن تيمية من الاجتهادات الشاذّة لدى بعض الفقهاء وقال: «وقد ذكر ابن تيمية جملة من الاجتهادات التي أخذ بها أصحابها معتمدين على أسباب الخلاف التي أشرنا

اليها ورتّب على ذلك أن لا تثريب عليهم ويغفر الله لنا ولهم».

ثم يقارن بين هذا الموقف وموقف من يدّعون أنهم أتباع ابن تيمية فيقول: «بهذا العقل المتفتح، والقلب المتّسع ينظر ابن تيمية إلى ما وقع بين الأئمة من خلاف ويرفع عنهم الملام.. ثم خلفت خلوف تحاول هدم هذه القمم، وتتلمس لها الأخطاء من بعيد.. وتريد أن تجعل الإسلام بلا تاريخ علمي، ولا مفكرين كبار.. وتنظر إلى هذه الخلوف المسعورة فترى مزيجاً من الجهل والكبر لا يستحق إلاّ المقت والازدراء»[1].

السلفية الواعية

لقد مرّ التاريخُ الإسلامي بمعارك كلاميّة «كنّا والله في غنى عنها، اختلقها الترف العقلي ونمّاها، وشُغلت بها الجماهير عن خير الدنيا والآخرة، وبقيت في كتب العقائد ذكريات مؤسفة.

وها قد سلخ من عمره المديد أربعة عشر قرنًا وعانت أمته أيامًا عصيبة لانطلاقها بغير قواها وإلى غير وجهتها».

وليس القلق «من كثرة المذاهب الفكرية في شؤون الأدب والحياة.. وإنما نكره التفرّق في المعتقد، والتحزب في أصول الديانة، ونؤثر دراسة العقائد من منهجها القرآني ونبعها النقي كما تدفّق به الوحي الأعلى، ونهض عليه سلفنا الصالحون».

---

١ - دستور الوحدة الثقافية، ص ٦٧ - ٧٢

وهذه هي السلفية الواعية التي تجمع ولا تفرّق ، غير أن أقوامًا نظروا إلى السلفية من منظارهم الضيّق، فجعلوا منها بداوة وتخلفًا وجمودًا. يقول الغزالي:

«والسلفية ليست فرقة تسكن بقاعًا من جزيرة العرب وتحيا على نحو اجتماعي معيّن.

إننا نرفض هذا الفهم ونأبى الانتماء إليه.

إن السلفية نزعة عقلية وعاطفية ترتبط بخير القرون، وتعمق ولاءها لكتاب الله وسنّة رسوله، وتحشد جهود المسلمين المادية والأدبية لإعلاء كلمة الله دون نظر إلى عرق أو لون.

وفهمها للإسلام وعملها له يرتفعان إلى مستوى عمومه وخلوده وتجاوبه مع الفطرة وقيامه على العقل.

وقد رأيت أناسًا يفهمون السلفية على أنها فقه أحمد بن حنبل رضى الله عنه، وهذا خطأ.. ففقه أحمد أحد الخطوط الفكرية في الثقافة الإسلامية التي تسع أئمة الأمصار وغيرهم مهما كثروا.

ورأيت ناسًا يفهمون السلفية على أنها مدرسة النص، وهذا خطأ فإن مدرسة الرأي كمدرسة الأثر في أخذها من الإسلام واعتمادها عليه.

وقد كان من هؤلاء من تسمّوا أخيرًا بأهل الحديث، وسيطرت عليهم أفكار قاصرة في فهم الأخبار المروية، وأحدثوا في الحرم فتنة منكورة.

والحديث النبوي ليس حكرًا على طائفة بعينها من المسلمين،

بل إنه مصدر رئيسي للفقه المذهبي كله.

ورأيت ناسًا تغلب عليهم البداوة، يكرهون المكتشفات العلمية الحديثة ولا يحسنون الانتفاع بها في دعم الرسالة الإسلامية وحماية تعاليمها، ويرفضون الحديث في التليفزيون مثلاً لأن ظهور الصورة على الشاشة حرام، ويتناولون المقررات الفلكية والجغرافية وغيرها بالهزء والإنكار، وهؤلاء في الحقيقة لا سلف ولا خلف، وأدمغتهم تحتاج إلى تشكيل جديد.

ورأيت ناسًا يتبعون الأعنت الأعنت، والأغلظ الأغلظ، من كل رأي قيل، فما يفتون الناس إلا بما يشق عليهم وينغص معايشهم، ويؤخر مسيرة المؤمنين في الدنيا، ويأوي بهم إلى كهوفها المظلمة. وهؤلاء أيضًا لا سلف ولا خلف. إنهم أناس في انتسابهم إلى علوم الدين نظر، وأغلبهم معتل الضمير والتفكير.

ورأيت ناسًا يتبعون إلغاء الرقيق بعيون كئيبة! قلت لهم: ألا تعرفون أن هؤلاء العبيد هم أحرار أولاد أحرار اختطفتهم عصابات النخاسة من أقطارهم، وباعتهم كفرانًا وعدوانًا ليكونوا لكم خدمًا، وهم في الحقيقة سادة؟!

ما السلفية التي تقر هذا البلاء؟ وما هؤلاء العلماء الذين ضاقوا بسياسة الملك فيصل في تحريرهم ، وإلغاء بيعهم وشرائهم؟ إن الرجل الشهيد أولى بالله منهم.

ورأيت ناسًا يقولون: إن آية: ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذي يقاتلونكم ولا تعتدوا﴾ مرحلية.

فإذا أمكنتنا اليد! لم نبق على أحد من الكافرين.

قلت: ما هذه سلفية. هذا فكر قطاع طرق لا أصحاب دعوة شريفة حصيفة، وأولئك لا يؤمَنون على تدريس الإسلام لجماعة من التلامذة بله أن يقدَّموا في المحافل الدولية والمجامع الدولية.

إن العالم الإسلامي الآن متخلّف حضاريًا، ومضطرب أخلاقيًا واجتماعيًا وسياسيًا، وبينه وبين الأمم القائدة الصاعدة أمد بعيد.

هذه الأمم تعلم ظاهرًا من الحياة الدنيا، وتفتقر إلى جيل من البشر يذكرها بالله ولقائه.

والإسلام وحده هو المالك لهذه الحقائق الهادية. ولكي تؤدي أمته رسالتها يجب عليها أمران:

الأول: أن تطوى مسافة التخلف الحضاري، والاضطراب الإنساني الذي يشينها ولا يزينها.

والثاني: أن تتقدم بشرف وكياسة لتقول للناس كلهم:

﴿يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورًا مبينًا﴾.

ولكي ننجح في عملنا يجب أن نقتفي آثار سلفنا.

والسلفية هنا عنوان كبير لحقيقة كبيرة أساسها العقل الحر المكتشف الدؤوب.

إن هذا العقل عندما رغب عن البحث في الذات العليا وحقيقة الصفات، كان يحترم نفسه عندما توقف. والعلم المعاصر نجح أيما نجاح عندما بحث في المادة التي بين يديه ولم يبحث في ربها ـ

سبحانه ـ فأنى له البحث فيما لا يملك ولا يقدر؟!

من أجل ذلك نرفض النظريات الكلامية، ونقبل المذاهب الفقهية، ونضع الشبكة القانونية التي يتطلبها انتقال الحياة من طور إلى طور.

من أجل ذلك نهشّ للتقدم العلمي ونطوّعه لنصرة مبادئنا ومُثُلنا.

ومن أجل ذلك نرى ضرورة إزاحة البله وذوي العقد النفسية من قيادة الفكر الديني، فإنهم غشاوات على البصائر، وحجب على الضمائر.

إننا محتاجون إلى فقهاء يستطيعون النظر في سياسة المال والحكم، ويرفضون أن يسبقهم الإلحاد إلى اجتذاب الشعوب الفقيرة في هذه الميادين الخطيرة. ومحتاجون إلى فقهاء يهيمنون على شؤون التربية والإعلام برحابة الإسلام وبشاشته لا بالتزمت والتكلف.

إن الفقه الإسلامي كما قدمه سلفنا حضارة معجزة، أما الفقه الإسلامي كما يقدمه البعض الآن فهو يميت ولا يحيى»[1].

انشغال عن عظائم الأمور

الانشغال بالجزئيات والاستغراق فيها ينسي الفرد والجماعة مهامها الكبرى، وهو خطر مابعده خطر، وهذه الظاهرة بارزة

---

١ - دستور الوحدة الإسلامية/ ٩٢ - ٩٣.

بين المتدينين في عالمنا الإسلامي مع الأسف. يقول الشيخ الغزالي: «ولم أر أناسًا حبستهم الجزئيات وغلبتهم على رشدهم مثل صرعى التعصّب المذهبي عندنا.

وأظنّ السبب في ذلك أسلوب تعليم العوام. إن المدرّس يقول في ثقة: حكم الله كذا في هذه القضية، رأي الدين كذا في ذلك الموضوع.. فيظنّ المستمع أن ما سمع هو حكم الله ورسوله.

وما ينبغي أن يُذكر حكم بهذا الجزم إلاّ ما قُطع به، أما الاجتهادات المذهبية فينبغي أن يقول المفتي: أرى الحكم كذا، أو الحكم عندنا كذا، أو صحّ الدليل لدينا بكذا، ويترك مجالاً للرأي الآخر فلا يحرمه من الانتماء إلى الإسلام.

وعلى الأتباع أن يستبينوا قيمة مايؤدون وما يدعون، فلا يظنوا الإسلام حكرًا على مسالكهم وحدها. واختيار المسلم لمذهب ما، لا يجوز أن يتحول إلى لجاجة ومغاضبة، فإن ذلك يُفسد النية ويمزق الأمة ويوهى الصلة بالله سبحانه وتعالى.

والموضوع كله لا مكان فيه لمكابرة واستطالة، إنه أهون من ذلك كثيرًا.

سألني صيدلي عن حكم من أدرك الإمام راكعًا ولم يقرأ الفاتحة، أتسقط الركعة عنه أم يعيدها؟

قلت: الجمهور على سقوط الركعة عنه، وهناك من يرى قضاءها، فاختر لنفسك ما يحلو.

قال: أعرف ذلك ولكن أريد مناقشة من يرى عدم قضاء الركعة..!

قلت له: ما جدوى ذلك عليك؟ ولماذا تتكلف ما لا تحسن وتترك ما تحسن..؟ قال : ما معنى ماتقول؟

قلت: أنت صيدلي، وجميع الأدوية في دكانك من صنع الصهيونيين أو الصليبيين أو الشيوعيين، فإذا تركت أنت وزملاؤك هذا الميدان، ميدان صناعة الدواء، واشتغلت باللغو، أفتحسب ذلك يرفعك عند الله وعند الناس؟ إنك للأسف تسهم في سقوط الأمة وتجعلها غير جديرة بالحياة.

قال: إنني أبحث في حكم شرعي ولا أشتغل باللغو.

قلت: الحكم الشرعي كما قرره أهل الذكر بين أمرين، خذ منهما ماشئت، ولا يجوز أن تحوّل الموضوع إلى لبان يمضغه الفارغون. إن كل ما يصرفك عن ميدان الدواء هو في حقيقته عبث أو عيب أو ذنب تؤاخذ به.

أما أن تؤلف رابطة عنوانها «جماعة من يقضون الركعة إذا لم تقرأ الفاتحة» فهذا سخف. ما قيمة هذا الرأي أو ذاك حتى يحشّى به عقول الناس؟

إن المسلمين المعاصرين نسوا ضياع التركستان والقرم، ولم ينسوا الخلاف على الجهر بالبسملة أول الفاتحة.

لحساب من تستثار المشاعر المشبوبة وراء رأي فقهي؟ إن كان خطأ أو صوابًا ، فهو مأجور. وماذا يبقى من مشاعر الناس بإزاء العقائد الأولى، والوحدة الجامعة، والتماسك في وجه أعداء لاينامون حتى يقضوا علينا..؟

إن التعصب لرأى أحد الفقهاء غباء، اعمل به إن شئت، ولا تستحمق إذا رأيت غيرك يعمل بضده.

وإذا وجد مجال لبحث وجوه النظر وقيم الأدلة ـ لمن يقدرون على ذلك ـ فلا حرج! ثم يصير كل إلى ما يرى. إنني استيقنت من أن التعصب الشديد لمسألة ثانوية يتم على على حساب الدماء والأموال والأعراض وكرامة الأمة وحياتها.

وأذكر صحفيًا ممن شهدوا القبض على الجماعة التي احتلت الحرم المكي هذه السنة[1]، قال لي: عندما أخذنا صورًا لهم رأيت بعضهم يتململ، فقلت له: مالك؟ قال لا تصورونا فالتصوير حرام!

قلت له: ترى أن التصوير حرام، وقتل الأبرياء في المسجد وامتهان قداسته مباحان!!

هذه هي عقلية المتشبثين ببعض الأفكار والفتاوى، وذلك مبلغهم من العلم، يعمون عن العظائم ولا يرون إلا ما يضخمون من وجهات نظر، قد يكون خطؤها أجلى من صوابها.

ذلك وقد ظهر نوع آخر من التعصب! جماعة يتسمون أهل الحديث، يفهم أحدهم في الخبر المروي فهمًا معينًا، فإذا خالفته في فهمه اتهمك بأنك تخالف السنّة، أو تخاصم الرسول(ص)، وهذا بلاء جديد شديد [2].

---

١ - ويقصد سنة ١٩٧٨م.

٢ - دستور الوحدة الثقافية، ص ٧٧ ـ ٧٩ .

يظهر أن الشيخ الغزالي عانى كثيرًا من التعصّب، وواجهه بكل شجاعة، واكتوى بناره، وراح يفكّر مليًا في حالة المتعصبين، فخرج بما يلي، يقول:

«لقيت متعصبين كثيرين، ودرست عن كثب أحوالهم النفسية والفكرية، فوجدت آفتين تفتكان بهم:

الأولى: العجز العلمي، أو قلة المعرفة! هؤلاء يحفظون نصًا وينسون آخر، أو يفهمون دلالة للكلام هنا، ويجهلون أخرى، وهم يحسبون ما أدركوه الدين كلّه.

ولو أن هؤلاء اكتفوا بمنزلة المتعلم التابع ما عابهم ذلك كثيرًا، فليس كل مسلم مطالبًا بمعرفة جميع الأقوال الواردة والدلالات المحتملة.

المصيبة أن يشتغلوا مفتين أو موجهين، وهم بهذا المستوى الهابط!...

والآفة الثانية في التعصب المذهبي: سوء النية، ووجود أمراض نفسية دفينة وراء السلوك الإنساني المعوج، ويغلب أن تكون آفات الظهور والاستعلاء أو رذائل القسوة والتسلط. كنت في مجلس قرآن ختم القارئ فيه التلاوة بقوله: صدق الله العظيم. فإذا جالس ينتفض كأنما لسعته عقرب يقول: هذه بدعة.. قلت له: لا أبحث معك أنها بدعة أو سنّة، وإنّما أسالك: ما هذا الفزع؟ لكأنما سقط على رأسك حجر!! الأمر ما يعالج بهذه العاصفة . إجلس.

هذا الصنف من الناس لم يهذّب نفسه بالأخلاق التي بُعث بها صاحب الرسالة ليتمّم مكارمها.. إن صور العبادة عنده غطاء لقلب غليظ، وغرائز فجّة.

وهو يجد متعة في قضايا الخلاف ليثور ويفور، وظاهر الأمر الغضب للدين، وهو في الحقيقة ينفّس عن طبيعة معتلّة، وتربية ناقصة أو مفقودة»[1].

مرضى القلوب

حين تحدّث الغزالي عن آفة المتعصبين لخصها في آفة العجز العلمي وآفة سوء النية، الأولى: علمية، والثانية: نفسية. والواقع أن الرجل يهتم بالعامل النفسي أكثر، وهذه هي النقطة البارزة في مشروع الشيخ. يخصص فصلاً للانحرافات النفسية والبدنية، ويرى أن الانحرافات النفسية أخطر من البدنية، فالمعاصي البدنية «شهوات محددة الخطر ـ على قبحها وسوء مغبتها ـ فالإسراف في الطعام مثلاً، يسلب المرء عفّته. وربّما كان للبدن تطلّعات أشدّ ضراوة، ومع ذلك فهو أدنى من جنون العظمة أو عبادة الذات التي تقود إلى الفرعنة وقسوة القلب وإهلاك الحرث والنسل في سبيل المجد الشخصي!!».

«والاغترار بالنفس أو الدوران حول الذات لا يبدو في طلب

---

١ - دستور الوحدة الثقافية، ص ٧٤ ـ ٧٥.

الرياسة بالأساليب القذرة وحسب، كلاّ إنه قد يبدو في تنقّص رجل معروف أو اعتناق رأي شاذ، أو المكابرة في حوار، أو ما شابه ذلك من مواقف لأناس يعملون في الميدان الديني أو الميدان المدني على سواء...».

«وفي ميدان التدين تعتبر الطاعات التي يقوم بها هؤلاء ستارًا لنيات مغشوشة أو ترجمة معكوسة لما يكمن في عقولهم الباطنة..».

«وهؤلاء المرضى بالشذوذ والحقد يكثرون من التلاوة وصور العبادة، وينتهزون الفرص التي تتنفس فيها طباعهم فيضربون ضربتهم، وقد كانوا كثرًا في جيش علي بن أبي طالب، ولكنهم شغلوا عليًا عن هدفه حتى انهزم، وكانت صيحتهم: لا حكم إلاّ للّه! وكان تعليق علي: «كلمة حق أريد بها باطل»!! إنّ المتدينين من هذا الصنف الغاش بلاء على الدين وعقبة أمام امتداده».

ويظهر أن الشيخ الغزالي مثله مثل كل الدعاة المخلصين قد عانى من مرضى النفوس كثيرًا، ولذلك فإنه يحاول أن يبحث عن جذور هذا المرض. يقول: «لقد عناني من أمر العلل النفسية أو معاصي القلوب لأني اكتويت بنارها، ورأيت من أدعياء التدين ما يدعو للجزع» .

ويخاطب هؤلاء الأدعياء المتزمتين الذين يكيلون التهم للآخرين، ويدورون مع ذواتهم أينما دارت بلغة غاضبة فيقول:

«ونحن نعرف أن آباءكم قتلوا عليًا باسم الدفاع عن الوحدة الإسلامية، وقتلوا عثمان باسم الدفاع عن النزاهة الإسلامية، وقتلوا عمر باسم الدفاع عن العدالة الإسلامية، فيا أولاد الافاعي إلى متى تتسترون بالإسلام لضرب الرجال الذين يعيشون له ويجاهدون لنصرته؟! ولحساب مَن تكنّون هذه الضغائن عليهم، وتسعون جاهدين للإيقاع بهم وتحريش السلطات عليهم..؟!».

ويقول أيضًا في لغة حادّة: «وهؤلاء المرضى المعتوهون يفهمون في المرويات فهمًا ما، ثم يقولون: هذا هو النص! ما نراه نحن هو رأي الله ورسوله، أي حكم الله ورسوله!

ومعنى ذلك أنك حين تقاومهم تقاوم الإسلام نفسه وتحارب الله ورسوله. وهذا هو البلاء المبين.

ونقول جادين: إن الإسلام لن يحكم ولا يجوز أن يحكم إذا كان أولئك العميان قادة قافلته والمتحدثين باسمه، فإن أمراضكم النفسية والفكرية تمحق دين الله ودنيا الناس على سواء..

الإسلام نور وهؤلاء ظلمة، إنه طهر وهؤلاء قذى !!».

موقف الشيخ الغزالي من هؤلاء المرضى ليس ردّ فعل لما وجهوه اليه من إساءات ، بل إنه يأتي في إطار حديثه عن «الوحدة الثقافية بين المسلمين» لأنّ «كثيرًا من الخصومات الفكرية القديمة في علم الكلام كان مظهرًا للعلل النفسية أكثر مما هو لخدمة الإسلام..».

أهمّ ما يجول حوله فكر الشيخ الغزالي بشأن سبب الانحرافات النفسية هو «انعدام الإخلاص». فالإخلاص «روح الدين وآية الصدق، وسياج العمل، وضمان قبوله في الدنيا والآخرة.. وهو عنصر نادر بين الناس، لأننا نقصد بالإخلاص تجريد القصد لله وحده، وابتغاء وجهه الكريم.. وأغلب الناس يدورن حول أنفسهم فيما يعملون أو يتركون، وينشدون مصالحهم الخاصة، أو منافعهم العاجلة».

لكن الشيخ حينما يقرأ عبارة تعنى بسبب الانحرافات النفسية يلتقطها، ويرتاح اليها، وينقلها في كتابه، مثل ما نقل عن مصطفى أمين قوله عن عامل الخوف وتأثيره في سلوك الافراد إذ يقول: «عرفت جبناء يخافون من أشباحهم ويرتعدون رعبًا إذا رأوا فأرًا يجلس على كرسي، وتسيب مفاصلهم أمام غضب عمدة أو تهديد مأمور!

وعرفت شجعانًا تطول قامتهم أمام العواصف. يثبتون في مواجهة الأعاصير. يذهبون إلى الموت وكأنهم يذهبون إلى حفلة شاي!

وكنت ألاحظ دائما أن الجبان لا يؤمن إلا بنفسه. إلهه في داخله. يتعبد له ويصلّي له ولا يشرك به أبدًا. ولهذا فهو خائف على رزقه، وخائف على وظيفته، وخائف على حياته، خائف من كل شيء، لا يطمئن إلى شيء ولا يثق بشيء. ولهذا فهو يرى الجبن هو المخبأ الذي يتحصن فيه من أخطار الحياة!

ولم أر في حياتي جبانًا وصل إلى المقدمة. لابد أن يتعلق بذيل صاحب سلطة، أو صاحب جاه. وهو ليست لديه الشجاعة أن يتقدم خطوة، فهو إذا قدّم ساقًا آخّر ساقًا، ولهذا يبقى في مكانه طويلا، وإذا دفعته الأيام إلى الأمام عاش صغيرًا في المكان الكبير، ويتصرف كما يتصرف الصغار. يدس ولا يواجه. يضرب من الخلف ولا يقاتل من أمام. يهمس ولا يرفع صوتًا. لأنه أجبن من أن يعلن رأيه. وهو في أغلب الأحيان لا رأي له فهو يقبل على الشمس إذا أشرقت ويدير لها ظهره إذا غربت.

وخوفه يجعله يتضاءل . ويرى خصومه يكبرون ويتعاظمون. ولو كان شجاعًا لرأى الناس بأحجامهم الحقيقية. وهو له قامة تساوى قامة الناس، ولكن في داخله دودة الجبن التي تجعله يحس أنه دودة صغيرة، ولهذا يتضاءل ويصغر وينكمش.

والشجاع لا يخاف إلا الله. إذا حارب حارب في النور، وإذا آمن برأي أعلنه ولم يكتمه، وإذا اعتنق عقيدة قاتل من أجلها. والذين في قلوبهم الإيمان يشعرون بقوة هائلة، تقتحم الأهوال وتواجه الأعاصير وتحتمل المحن والخطوب. والإيمان يصنع من القزم عملاقًا، والجُبن يحوّل العملاق إلى قزم صغير! الإيمان يمنح الإنسان جيشًا يحارب معه, والجبن يجرد الإنسان من كل سلاح، فيستسلم قبل أن يدخل المعركة، ويرفع الراية البيضاء عندما تطلق الرصاصة الأولى»[1].

---

١ - دستور الوحدة الثقافية، ص ١٤١ ـ ١٤٩.

اقتراحات للتقارب بين الشيعة وأهل السنة

يقول الشيخ الغزالي:

«من الخلافات الموروثة، ما بين الشيعة وأهل السنّة من فجوات، ملأتها الدماء في بعض الأعصار!! وزادها البهت والافتراء بين الحين والحين..! وما أنكر أن أسبابًا علمية وعاطفية تخفى أو تظهر وراء هذا الخلاف.. بيد أن للسياسة ومطالب الحكم أسبابًا أضرى وأنمى.

وقد تحدثت في كتب أخرى عن حقيقة ما بين الفريقين من الناحية العلمية، ولا مجال هنا لتفصيل أو زيادة.

وأعترف بأن لي أصدقاء من الشيعة أعزهم وأحبهم.

ومن أجل ذلك أعرض هذه المبادئ لدفع الأمور إلى طريق التصالح والإخاء:

أ- يتفق الفريقان في مؤتمر جامع على أن القرآن الكريم هو كتاب الإسلام المصون الخالد، والمصدر الأول للتشريع، وأن الله حفظه من الزيادة والنقص وكل أنواع التحريف، وأن ما يتلى الآن هو ما كان يتلوه النبي(ص) على أصحابه، وأنه ليس هناك في تاريخ الإسلام كله غير هذا المصحف الشريف.

ب - السنّة هي المصدر الثاني بعد القرآن الكريم، والرسول أسوة حسنة لأتباعه إلى قيام الساعة، والاختلاف في ثبوت سنّة ما أو عدم ثبوتها مسألة فرعية.

ج - ما وقع من خلاف بين القرن الأول يدرس في إطار البحث

العلمي والعبرة التاريخية، ولا يسمح بامتداده إلى حاضر المسلمين ومستقبلهم، بل يجمد من الناحية العملية تجميدًا تامًا، ويترك حسابه إلى الله وفق الآية الكريمة: ﴿تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تُسألون عما كانوا يعملون﴾ (البقرة/ ١٣٤ - ١٤١).

د - يواجه المسلمون جميعًا مستقبلهم على أساس من دعم الأصول المشتركة - وهي كثيرة جدًا - وعلى مرونة وتسامح في شتى الفروع الفقهية ووجهات النظر المذهبية الأخرى.

إنني لا أستطيع خلال سطور، أن أحل مشكلة تراخت عليها العصور، لكنني أستلفت النظر إلى أن أوهامًا وأهواء تملأ الجو بين الشيعة وجماعة المسلمين لا يسيغ العقلاء بقاؤها.

ولو وضع كل شيء في حجمه الطبيعي، وأغلقت الأفواه التي تستمرئ الوقيعة والإفك لتلاشت أنواع من الفرقة لا مساغ لوجودها.

وإني إذ أرسل هذه الكلمات إلى إخواني في كل قطر، أستشعر الخطر الذي يكتنف المسلمين هنا وهناك، وكثافة القوى التي تتجمع في هذه الأيام للإجهاز عليهم واستئصال شأفتهم.

لقد اتفقت أحزاب أهل الكتاب وأحزاب الوثنية، وأحزاب الماديين جميعًا على استئصال شأفتنا فإلى متى نتفرق؟

لماذا يتباعد أتباع المذاهب الفرعية؟

لماذا تجتر خلافات بين السلف وتمنح القدرة على الحياة والأذى؟»[1].

الاجتهاد ضرورة إسلامية وإنسانية

سدّ باب الاجتهاد عند أهل السنّة على مرّ التاريخ حوّل الفقه إلى شروح على حواشٍ وحواشٍ على شروح وجعل «عددًا كبيرًا من الفقهاء المتأخرين يحشّون مؤلفاتهم بنظرات غير سديدة وأقوال غير مفيدة، بل تصوّر بعضهم أمورًا مستحيلة، ووضع لها باسم الله أحكامًا ، وهي لا تزيد في قيمته المعنوية عن خيالات ألف ليلة وليلة.

ومن المستيقن أن أئمة المذاهب أبرياء من هذا اللغو، بل إنّ الرجال المعتدّ بهم في كل المذاهب يستعلون على هذه الهنات».

يقول الغزالي ذلك ثم يضرب أمثلة من التاريخ بشأن تبني الحكومات مذهبًا معينًا والزام القضاة به، حتى صار ذلك المذهب بديلاً عن الكتاب والسنّة أو كما يقول المراكشي في كتابه *المعجب* لدى حديثه عن تبني المذهب المالكي في المغرب والاندلس : «كثر ذلك حتى نسي النظر في كتاب الله وسنة رسوله، فلم يكن أحدٌ يعتني بهما كلّ الاعتناء».

ويرى الشيخ الغزالي أن الاجتهاد في العبادات ممكن، وقد

---

١ - دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين ، ص ١٠٩ -١١٠.

صار إلى هذا الرأي بعدما قرأ «رسالة للفقيه المعاصر الشيخ عبدالله بن زيد آل محمود عنوانها: «جواز الإحرام من جدّة لركّاب الطائرات والسفن البحرية»، والعنوان يشير إلى الموضوع، فإن مواقيت الحج حدّدتها السنّة، وقد جدّ في عالم المواصلات ما لا معنى للتغابي عنه».

«أما فقه المعاملات الذي جمد ـ وهذه مصيبة ـ من عشرة قرون، فإن تجميده عجز في دنيا الناس، وقصور في دين الله على سواء.

والضرورات صارخة بأن الإسلام يحتاج اليوم إلى جهود ذكية دؤوب في الفقه الدولي والفقه الدستوري والفقه الإداري، وإلى ملاحقة ما تجدد في عالم المال والتجارة وشؤون العمل والعمال...الخ».

«وقد تغيظت لأن بعض المنسوبين إلى العلم الديني حاول الاجتهاد، فذهب إلى دورات المياه ودور العبادة يستعرض عضلاته العلمية هناك... مسكينة أمتنا».

«ومع الاجتهاد لابدّ من الموافقات والمخالفات بين المجتهدين فإذا توافقنا فبها ونعمت، وإذا تخالفنا تعاونّا فيما اتفقنا عليه، وعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه»[1].

---

١ - دستور الوحدة الثقافية، ص ٩٩ -١٠٣.

دوشنبه عاصمة الثقافة الإسلامية ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م

وإحياء طرق الحج

دوشنبه مدينة السلام تم اختيارها كعاصمة لجمهورية تاجيكستان في بداية عام ١٩٢٤م تقع في وسط وادي حصار ، وتحيط بها الجبال من جهاتها الأربعة (الجبال تمثل ٩٣٪ من مساحة تاجكيستان).

يبلغ عدد سكانها الحاليين حوالي مليون نسمة .

لها إدارة حكومية خاصة ، ويديرها برلمان ، ولها أربع نواحي إدارية وهي : (ناحية إسماعيل ساماني – ناحية ابن سينا – ناحية فردوسي – ناحية شاه منصور).

يوجد فيها كل الإدارات الحكومية التابعة لحكومة تاجيكستان ، كما تضم القصر الرئاسي ، ومبنى البرلمان ، وكل مباني الوزارات والمؤسسات الحكومية .

كما تضم المؤسسات التعليمية العليا ، والتي من أهمها أكاديمية العلوم التاجيكية ، وأكاديمية العلوم التربوية ، وجامعة تاجيكستان القومية ، وجامعة الطبّ ، ومعهد المعلمين ، وغيرها ، ويبلغ عدد الجامعات فيها أكثر من عشر جامعات ، كما يوجد فيها أكثر من مائة مدرسة ابتدائية وثانوية ،

بالإضافة لأكثر من ألف روضة للأطفال .

يوجد فيها كثير من الأماكن التاريخية ، والتي من أهمها المتحف القومي ، والمتحف التاريخي القديم ،ومكتبة فردوسي ، ومعهد الآثار الخطية القديمة .

وتشتهر دوشنبه بأنها :

- تعتبر من أهم المدن القديمة والتي كان طريق الحرير يمر بها.

- تعتبر أكبر مركز علمي وثقافي ، حيث تضم كل من أكاديمية العلوم التاجيكية ، وأغلب الجامعات العليا .

- تعتبر دوشنبه اليوم مدينة للسلام والصداقة والأخوة .

- لقد اختارتها منظمة اليونسكو التابعة للأمم المتحدة لتكون مدينة السلام في منطقة آسيا والمحيط الهادي ، فكرمتها وحصلت على الجائزة الأولى من اليونسكو .

- كما تشتهر بروعة جمالها ومناخها الطبيعي ، فهي كثيرة الأشجار وخضرتها تزين كل المدينة .

- كما تشتهر بكثرة الأماكن السياحية ، والتي يتوفر فيها مراكز للعلاج الصحي الطبيعي، والتي يزورها كثير من الناس والسيّاح الأجانب كمنطقة حاجي أبي قارم .

- فيها يصدر أكثر من عشرين جريدة ومجلة محلية ، والتي من أهمها منبر الشعب ، وصدى الشرق ، آسيا ، دوشنبه المسائية، نجاة .

ومن أهم المعالم الإسلامية في المدينة :

ـ الجامع الكبير باسم حاجي يعقوب ، والذي أسس قبل مائتي سنة ، ويقع في قلب العاصمة ، ويسع لأكثر من ثلاثة آلاف مصل، والذي يتميز بقبته ومناراته العاليا .

ـ معهد أبو حنيفة الإسلامية ، وهو من أهم المعالم الإسلامية العلمية ، حيث يدرس فيه حاليًا أكثر من أربعمائة طالب وطالبة العلوم الشرعية ، كما يوجد فيها كلية خاصة لتحفيظ القرآن ويتخرج منه المتخصصون والذين يعملون كأئمة أو معلمين في المدارس الدينية المنتشرة داخل الجمهورية .

ـ مسجد شاه منصور والذي يقع في وسط المدينة ، والذي يعد من أبرز المساجد .

ـ المركز الإسلامي ،والذي سيبنى بدعم من دولة قطر ، ويعتبر من أكبر المراكز الإسلامية ، حيث يستوعب أكثر من سبعين ألف ، ويضم في داخله مسجدًا ومكتبة ومدرسة ومعهد وصالات للمحاضرات والدرس .

ـ أحتفلت مدينة دوشنبه في عام ٢٠٠٩م بذكرى الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان بن ثابت ، والذي كان في شكل احتفال دولي شارك فيه ضيوف من أكثر من خمسين دولة ، وكان أغلبهم من البلاد الإسلامية.

ـ تشتهر بحركة الترجمة لكثير من الكتب الإسلامية والثقافية والتاريخية ، والتي تباع بكل حرية في المكتبات المنتشرة في كل مدن الجمهورية .

ـ تشتهر بوفرة المخطوطات والآثار العلمية التاريخية الإسلامية، والتي صمم لها مركز علمي متخصص للحفاظ عليها .

إحياء طرق الحج في دو شنبه

أقيمت في مدينة دوشنبة ندوة تحت عنوان «إحياء طرق الحج» وخرجت بالتوصيات التالية:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

تنفيذًا لتوصيات المؤتمر الإسلامي السادس لوزراء الثقافة (باكو، آذربايجان ١٣ – ١٥ اكتوبر ٢٠٠٩)، والاجتماع التاسع للمجلس الاستشاري لتنفيذ الاستراتيجية الثقافية للعالم الإسلامي (باكو، آذربايجان ٩ -١٠ اكتوبر ٢٠٠٩)، وانطلاقًا من اهتمام المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (ايسيسكو) بالقضايا الثقافية الإسلامية المشتركة بين المسلمين، وبأمر عودة أمتنا إلى وحدتها واستئناف مسيرتها الحضارية فقد عقدت ايسيسكو بالتعاون مع وزارة الثقافة في طاجيكستان حلقة دراسية شبه اقليمية عن طريق الحج الآسيوي لتفعيل خطة عمل حول طرق التواصل الحضاري، بمدينة «دو شنبه» بمناسبة اختيار ايسيسكو هذه المدينة عاصمة للثقافة الإسلامية لعام ٢٠١٠، وذلك خلال الفترة ١٨ – ٢٠ شوال ١٤١٢ الموافقة لـ ٢٧ – ٢٩ سبتمبر ٢٠١٠،

باشتراك أساتذة وعلماء من أفغانستان وروسيا وإيران إضافة إلى المشاركين الطاجيكيين.

عُقدت الجلسة الافتتاحية يوم الاثنين برآسة وزير الثقافة الطاجيكي معالي السيد ميرزا شاهرخ أسراري وبحضور رئيس اللجنة الدينية في طاجيكستان السيد عبدالرحيم خالق اوف والمدير الاقليمي لمنظمة الايسيسكو الدكتور عباس صدري وجمع من العلماء والجامعيين والمسؤولين في شؤون الحج الطاجيكي.

في كلمة الافتتاح ألقى السيد وزير الثقافة التاجيكي كلمة رحّب فيها بالضيوف وتحدّث عن اهتمام طاجيكستان رئيسًا وحكومة وشعبًا بفريضة الحج وأدائها على النحو المطلوب، ثم استعرض بعض معطيات هذه الفريضة الإلهية ولخّصها بالتعارف بين المسلمين وإحلال الوحدة بينهم وتطهير نفوسهم وارتباطهم بالله سبحانه، وأشار إلى ماكان عليه وضع الحج في بلاده قبل استقلال طاجيكستان ، وما أصبح عليه الآن، من تطور كمي ونوعي.

وفي هذه الجلسة أيضًا تحدّث السيد عبدالرحيم خالق اوف حول دور الحج في العالم الإسلامي وعن حكمة مناسك الحج ورموزها. وأشار إلى وجود أكثر من فرصة لوحدة الأمة الإسلامية لكن العقبات لا تزال تحول دون تحقق هذه الوحدة.

وفي هذه الجلسة أيضًا تحدث الدكتور عباس صدري المدير

الإقليمي لمنظمة ايسيسكو أبلغ فيها الحاضرين تحيات السيد المدير العام للمنظمة الدكتور عبدالعزيز بن عثمان التويجري وأشار إلى المستوى العلمي للمشاركين وشكر وزارة الثقافة الطاجيكية على اهتمامها بإنجاح هذه الحلقة الدراسية، وتحدّث عن أهمية الطرق الثقافية في الحوار الحضاري بين الشعوب، وقال إن ايسيسكو تؤمن بضرورة توفّر التعليم العام والتعليم الاختصاصي في العالم الإسلامي في جميع المجالات لتقديم النموذج الأمثل لأمتنا بين أمم الأرض.

ثم توالت الجلسات صباحًا ومساءًا لثلاثة أيام وتناولت الأوراق المقدمة المحاور التالية، ودارت حولها مناقشات جادة:

١ ـ البعد الحضاري والثقافي لطرق الحج في بلاد ما وراء النهر.

٢ - البعد التاريخي والجغرافي لطريق الحج في بلدان ما وراء النهر.

٣ - البعد الاقتصادي لطرق الحج في بلدان ماوراء النهر.

٤ - نحو إعادة إحياء وتفعيل طرق الحج والتواصل بين المسلمين.

وكانت لغة الحلقة العربية، وتخللها بعض التوضيحات بالفارسية.

الجلسه الأولى الصباحية ترأسها الدكتور عباس صدري وألقى فيها الدكتور محمد علي آذرشب أستاذ جامعة طهران ورئيس مركز الدراسات الثقافية الإيرانية العربية ورقته التي ركز فيها على البعد الحضاري للحج وبيّن أنّ التحدي الكبير الذي يواجه

الأمة الإسلامية هو التخلف الحضاري وشرح دور الحج في عملية «إحياء» الأمة لتستأنف مسيرتها الحضارية. وذكر أن كل عناصر التفعيل الحضاري موجودة في ثقافتنا، ونحتاج إلى إحيائها كي تنهض الأمة بمسؤوليتها الحضارية. وأشار إلى ما في مناسك الحج من هذه العناصر الثقافية الحضارية، ثم ذكر أن بلاد ماوراء النهر قادرة على أن تحيي طرق الحج البرّي شرط أن يكون هناك تنسيق كامل بين هذه البلدان والبلدان المجاورة كي تكون هذه الطرق وسيلة تعارف وتثاقف وتوطيد روح الأخوّة والتفاهم بين المسلمين، وأن يكون استخدامها يؤدي إلى إبراز عزّة المسلمين وكرامتهم ووحدتهم.

والجلسة الثانية عقدت بعد الظهر برآسة الدكتور محمد علي آذرشب، وألقى فيها الدكتور تاج الدين مرداني نائب رئيس الجامعة الإسلامية للإمام الأعظم ورقة دارت حول تأثير الحج على العالم الإسلامي، وتفاعل الناس مع الحجاج توديعًا واستقبالاً، وتحدث عن الحج الطاجيكي وكيف تطور بعد الاستقلال. وأشار إلى أنّ الطاجيكيين بعد الاستقلال التقوا لأول مرّة بأبنائهم وأحفادهم الذين هاجروا بعد الاحتلال إلى الأراضي المقدسة وتوطنوا فيها.

وفي اليوم الثاني ترأس الجلسة الثالثة الأستاذ سعيد بيك محمد الله يوف رئيس القسم في لجنة الشؤون الدينية لدى حكومة طاجيكستان وألقى الدكتور محمد أياز نيازي أستاذ جامعة كابل والداعية الإسلامي حول منافع الحج وكيفية تحققها،

وذكر أن صيغة النكرة في قوله تعالى: ﴿ليشهدوا منافع لهم﴾ تعني مطلق المنافع، وهي على رأسها اليوم إحياء العالم الإسلامي، وأكد أن إحياء طرق الحج بحاجة إلى أمة حية لأن فاقد الشيء لا يعطيه. وأشار إلى الأخطاء التي يمارسها بعض الحجاج في أداء مناسكهم مما يسيء إلى هذه الشعيرة الكبرى.

والجلسة الرابعة عقدت برآسة الدكتور مرداني تحدث فيها الدكتور محمد ملك اوف أستاذ الجامعة الإسلامية في قزان أشار فيها إلى حج منطقة تاتارستان في روسيا والمشاكل التي تعتري حجهم، وقدّم اقتراحات بشأن تعاون بلدان ما وراء النهر لتسهيل أداء فريضة حجاج تاتارستان.

وتحدث أيضًا في هذه الجلسة الأستاذ سعيد بيك عن البعد الاقتصادي لطريق الحج في بلدان ماوراء النهر، أشار فيها إلى موضوع الاستطاعة، وتكرار الحج، والهدي، وإلى ضرورة عدم تكرار الحج إذا كان في التطوع ضرر يلحق بعض المسلمين. إذ فسح الله للمسلم مجالات أخرى يتقرب بها إلى ربه تعود بالنفع على الناس.

وفي اليوم الثالث ترأس الجلسة الخامسة عيدي بيك ضيايوف مدير مؤسسات التحصيل والتعليم في الإدارة الدينيَّة، وألقى فيها فضيلة الملا معروف رحيم اوف نائب إدارة الفتوى شكر فيها القائمين على أمر إقامة هذه الحلقة الدراسية، ثم تناول فيها أسباب سقوط العالم الإسلامي وسبل نهوضه. وذكر أن أهم أسباب النهوض الإرادة الإسلامية العامة التي تستطيع أن توفر

الأمن على الساحة الإسلامية، والأمن مقدمة ضرورية للتواصل الحضاري ولأداء فريضة الحج على النحو المطلوب.

ثم تحدث عن مدرسة الحج ومقدرة هذه المدرسة على تربية الإنسان المسلم وصيانة هويته.

وذكر ضرورة الالتزام بالقرآن والسنّة في فهم مناسك الحج، مع مراعاة الأهداف والمقاصد المذكورة في الشريعة، لتكامل الأمة.

بعد هذه الجلسات والمحاضرات والمناقشات خرج المجتمعون بالتوصيات التالية:

١ ـ لقد كانت طرق الحج في بلاد ماوراء النهر وسيلة ارتباط حضاري مع سائر أجزاء العالم الإسلامي، ولها تاريخ عريق ، غير أن هذه البلدان في زمن الاتحاد السوفيتي انعزلت إلى حدّ كبير عن سائر أجزاء الأمة، وإحياء طريق الحج لبلدان ماراء النهر يستطيع أن يوثّق عرى التعارف والتلاحم مع بلدان العالم الإسلامي، لذلك يوصي المجتمعون بإحياء هذا الطريق العبادي الثقافي الحضاري لتجاوز سنين الانفصال والابتعاد.

٢ - إحياء طرق الحج يبدو للوهلة الأولى عملية بعيدة المنال بسبب الظروف السياسية والأمنية السائدة في العالم الإسلامي، غير أنّ ظهور تكتلات عالمية على الساحة كالاتحاد الأوربي رغم ما كان بين بلدانه من حروب دامية في القرن الماضي، يقرّب فكرة تضامن العالم الإسلامي، لترتفع الحالة فيه إلى تسهيل فكرة التواصل بمختلف السبل، ومنها طرق الحج. لذلك يدعو

المجتمعون إلى التفكير الجاد لتضامن بلدان أمتنا في جميع المجالات الحياتية.

٣ - إحياء طرق الحج لبلاد ما وراء النهر التي هي في الواقع طرق تواصل حضاري وثقافي وتاريخي يتطلب إعدادًا كاملا في هذه البلاد وبلد المقصد وبلدان المسير لتوفير راحة الحجاج والمعتمرين وأمنهم وسلامتهم واستثمارهم الكامل لرحلتهم خاصة في مجال التعارف والتواصل والتكامل المعنوي.

٤ - الحج قوام هذه الأمة: ﴿ جَعَلَ اللّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنّاسِ﴾، لا بد من اتجاه كل مناسك الحج لتحقيق هوية الأمة وعزّتها وقوّتها وكرامتها. لذلك يوصي المجتمعون بعثات الحج في العالم الإسلامي ومسؤولي الحج في الحرمين الشريفين أن يوفّروا كل الفرص المطلوبة لتحقيق هذا الهدف السامي من الحج.

٥ - إحياء طرق الحج لا بدّ أن يأتي في سياق الإحياء العام للأمة في جميع شؤونها. من هنا يوصي المجتمعون الاهتمام بكل ما يستلزم إحياء الأمة وحركتها على طريق استئناف مسيرتها الحضارية.

٦ - في المجال الاقتصادي يستطيع إحياء طرق الحج أن يدفع نحو التكامل الاقتصادي للأمة الإسلامية ولذلك يوصي المجتمعون أن يكون الاستثمار الاقتصادي لهذه الطرق موضع الاهتمام أيضًا كي تتوفّر حاجات الحجاج والمعتمرين من الامكانات الداخلية للعالم الإسلامي ويوفّر أرضية التبادل

الاقتصادي بين المسلمين.

٧ - في الإطار الاقتصادي أيضًا يوصي المجتمعون ببثّ الوعي بين المسلمين المصرّين على تكرار الحج بوجود بدائل أخرى لمرضاة الله سبحانه، خاصة مع وجود الفقراء والمحتاجين الذين ينتظرون برّ المسلمين في أرجاء العالم.

٨ - يوصي المجتمعون إبعاد الحج والعمرة عن كلّ ما يسيء إلى عظمة هذه الشعيرة ومظهرها الموحّد للمسلمين.

٩ - يوصي المجتمعون باستثمار فرصة الحج لعقد لقاءات بين العلماء والمفكرين والكتّاب لتبادل وجهات النظر بشأن توعية المسلمين والمحافظة على هويتهم ودراسة ما يرتبط بمستقبلهم والتحديات التي تواجههم.

١٠ - يوصي المجتمعون بتعاون مؤسسات الحج في بلدان ماوراء النهر مع مؤسسات الحج في البلدان المجاورة التي لها خبرة طويلة في هذا المجال، ضمن ورش عمل تقيمها اسيسكو لنقل التجارب في مسائل إدارة الحج.

وفي الختام يتقدم المجتمعون بالشكر الجزيل لوزارة الثقافة الطاجيكية ولايسيسكو ومكتبها الاقليمي على ما بذلوه من جهد لانجاح هذه الحلقة. كما يتقدمون بخالص الشكر للدكتور عبدالعزيز بن عثمان التويجري المدير العام لمنظمة ايسيسكو لما يقدمه من أفكار ومشاريع لاستعادة الوجود الحضاري لأمتنا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

التجديد في خطاب الوحدة..

ضرورة إسلامية

حسين زين الدين*

- ثمة قصور وتقصير لدى دعاة الوحدة في إنتاج خطاب قادر على التأثير، وقابل للاستجابة والتفاعل
- إن خطاب الوحدة يعاني قصورًا كبيرًا في جانبي الكمّ والكيف
- خطاب الوحدة يعاني من تحدٍّ آخر هو عدم وجود مؤسسات أهلية تعنى بنشر ثقافة التسامح والحوار والعيش المشترك في مقابل مئات المؤسسات والمنابر الإعلامية المنتجة لثقافة الكراهية والتعصب.

في كتاب *خطاب الوحدة.. نقد وتقويم* لمؤلفه الشيخ حسن الصفار أحد أبرز دعاة التقريب والوحدة، والمهتمين بقضايا الأمة، والساعين إلى بلورة مشروع تنموي حضاري وفق رؤى دينية حضارية، وبأساليب تجديدية عصرية لمواجهة التحديات التي تواجه الأمة، و ذلك بإنتاجاته اللامتناهية في الكتابة واللقاءات

* - مركز آفاق للدراسات والبحوث .

والمحاضـــرات، في خضـــم التناقضـــات الاجتماعيـــة والسياســـية والاقتصادية، وفي ظل تقاعس الكثير من علماء الأمة عن القيام بدورهم الريادي في التوجيه والتأثير الإيجابي في نفوس جماهيرها (الأمة)، هكذا في هذا الكتاب يحلق الشيخ الصفار من جديد في فضاء المعرفة الإسلامية الأصيلة، مفتتحًا بابًا جديدًا وحسّاسًّا في ذات الوقت، رافعًا عنه حالة الصدأ الذي أصابه من حالة الركود والجمود، ليدفع به إلى الحراك والانفتاح على كل زاوية من زوايا تلك الغرف الساكنة، ليصل إلى مستوى التحدي الحقيقي في البحث عن عنوانه المراد به تحريك الحياة والعيش بأمن وسلام.

في رحاب هذا الكتاب، نجد سماحة الشيخ يتناول عنوانا من تلك العناوين الحسّاسّة في ساحة الأمة الإسلامية والعربية. معتبرًا خطاب الوحدة الأكثر سجالاً وانشغالاً من بين العديد من القضايا الكبرى التي تشغل المفكرين والمهمومين بقضايا الأمة، أحد تلك العناوين التي تحتاج إلى بحث في بنيتها وأساليبها ومنهجها. موضحًا أن خطاب الوحدة المعاصر يواجه عددًا من التحديات الخطيرة التي تتمثل في تداعيات واقع الانقسام وسياسات التمييز، والانتشار الواسع لخطاب التعبئة والشحن الطائفي، وضعف استجابة خطاب الوحدة لدواعي التجديد والتطوير. ويعود هذا الاهتمام الواسع بمشروع خطاب الوحدة لدى الشيخ الصفار في كتابه هذا، إلى كون خطاب الوحدة يعاني قصورًا كبيرًا في جانبي الكمّ والكيف".حيث أن خطاب الوحدة من جهة يعاني في معظمه من السكونية والجمود في المضامين التي يتبناها،

والأساليب التي ينتهجها في مخاطبته للجماهير المسلمين، ومدى تأثيره في نفوسهم، ومن جهة أخرى لا تكاد تجد من بين عشرات العلماء والمؤسسات ممّن يحملون همّ نشر خطاب الوحدة والتآلف سوى عدد محدود.

بجانب ذلك برزت خلال عقود تاريخية مختلفة العديد من التقلبات السياسية والاصطفافات المذهبية الطائفية، تسبب السياسيون في إلهاب الفتن والكراهية بين شعوب المجتمعات الإسلامية، ونجح معهم ذوو العقول الساذجة من الزعامات الطائفية في تهييج مشاعر العوام عبر فتاوى التكفير والتحريض على الكراهية، فتشكل من ذلك التحالف قوة ثنائية ضاربة في أعماق وعي الأفراد والجماعات، ساعدت على صنع أرضية واسعة من النزاع والاضطراب والفوضى.

ومع كلّ محاولات المخلصين من كل الجهات والشخصيات المهمومة بقضايا الأمة خلال الفترات الماضية على إنهاء هذا المسلسل عبر العديد من اللقاءات والمؤتمرات والمؤلفات، إلا أنها لم تستطع بعضها الصمود أمام تقلبات السياسة، ولم يتوفر لها الدعم والشعبية الكافية، فتوقف نشاطها، وشلت حركتها.

ولقد تأسست قبل أكثر من نصف قرن «دار التقريب بين المذاهب الإسلامية»، في القاهرة، بجهد أهلي من قبل مرجعيات شيعية وسنية، والثانية تلك التي أسسها المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية في إيران.

ولنا أن نتساءل، إذا كانت هناك العديد من المحاولات من قبل شخصيات مهمومة بقضايا الأمة ، فما الجديد الذي سيقدمه

الشيخ الصفار في كتابه؟

يمكننا أن نجيب على هذا السؤال من خلال ما أشار إليه الشيخ الصفار في بداية كتابه بقوله: «تسعى هذه الورقة المتواضعة إلى إلفات النظر إلى ضرورة التجديد والتطوير في خطاب الوحدة، عبر إثارة عدد من الملاحظات والمداخلات». هذا الكلام مدعاة إلى أن فشل تلك المحاولات عائد في حقيقته إلى الأسلوب ومدى قدرته على التأثير في نفوس جمهور الأمة، وهو نتاج خطاب ضعيف الاستجابة والتفاعل مع متغيرات وتحديات العصر، وهذا لا ينفي قصور وتقصير لدى دعاة الوحدة في إنتاج خطاب قادر على التأثير، وقابل للاستجابة والتفاعل.

الأمر الآخر فيما يرتبط بهذه المسألة ، هو ما أكد عليه الشيخ الصفار في موضع آخر بقوله: «أن خطاب الوحدة يعاني قصورًا كبيرًا في جانبي الكمّ والكيف، ففي مقابل مئات المؤسسات والمنابر الإعلامية والثقافية المنتجة للشحن الطائفي، والمروجة لاتجاهات التعصب المذهبي، لا تكاد تجد سوى عدد من المؤسسات المهتمة بالخطاب والشأن الوحدوي»، ويضيف «ومن بين عشرات الآلاف من علماء الدين والمنتسبين للحالة الدينية من الخطباء والدعاة، قد لا نجد منهم إلا عشرات الأفراد ممن يحملون همّ نشر خطاب الوحدة، ومواجهة ثقافة الخلاف والشقاق».

وهذا يفسر أن خطاب الوحدة يعاني من تحدٍّ آخر لا يقل عن التحدي الأول، بمعنى أن عدم وجود مؤسسات أهلية تعنى بنشر ثقافة التسامح والحوار والعيش المشترك في مقابل مئات المؤسسات والمنابر الإعلامية المنتجة لثقافة الكراهية والتعصب، لن يكن

الخطاب قادرًا في ظل غياب تلك المؤسسات المستقلة القوية في التأثير في نفوس جماهير الأمة، ويقود إلى مبادرات تشجع على الحوار بين مختلف الأطراف، خدمة للاستقرار والسلم الاجتماعي. ناهيك عن غياب الحس الاجتماعي والوطني عند عشرات من الأفراد في تحمل مسؤولياتهم في دعم ومساندة الخطاب الوحدوي. كل ذلك هو بحاجة إلى إعادة النظر والبحث في ماهية الخطاب وكيفية إيصاله لجمهور الأمة ضمن وسائل حضارية وعصرية تنسجم مع المتغيرات والتحديات الراهنة.

وهنا يمكن أن نقف عند مفارقة توصل إليها الشيخ الصفار في كتابه، عند مقاربته لأداء خطابين متباينين في النهج والتأثير في جمهور الأمة، تلك المفارقة تتمثل في أن الخطاب الطائفي يتحدث بنبرة أعلى، وثقة أقوى بمعنى أنه يمتلك القدرة على التأثير في الجمهور عبر إثارة مشاعرهم وعواطفهم، ودفعهم إلى أتون الفتنة ومعارك الصراع، بينما يتسم معظم الخطاب الوحدوي بدرجة كبيرة من الخجل والحياء ، وهذا يعني أن الخطاب الوحدوي يقتصر التفاعل على مستوى نخبوي محدود.

ويبقى أن نقول ــ وكما يشير إليه الشيخ الصفار ــ إن المهمة الأساس لخطاب الوحدة في هذا العصر، هو تصحيح العلاقة بين أطراف المجتمع الإسلامي، وحمايته من النزاع والشقاق ، وإيقاف الإساءة إلى الرموز والمقدسات، بين المذاهب العقدية، واعتماد لغة الحوار العلمي. داعيًا إلى تبني مفهوم المواطنة وحقوق الإنسان وإقرار المساواة بين المواطنين للقضاء على عناوين الصراع والشقاق.

المدير العام للإيسيسكو :

مستقبل العالم مرهون بتحسين الغرب علاقاته مع العالم الإسلامي

• الإنسانية اليوم في أشدّ الحاجة إلى من يُزيل من أمامها ركام القرون الماضية التي ساد فيها سوء التفاهم • الرصيد الثقافي المشترك بين العالم الإسلامي وأوروبا تحديدًا، يشكّل بكلّ المقاييس وجميع الاعتبارات، مصدرًا للثراء الفكري • التواصل الحضاري مصدره التفاهم والاحترام المتبادل • لن يكون للكلام الذي نطق به الرئيس الأمريكي أمام البرلمان التركي وفي جامعة القاهرة أي مدلول واقعي حتى يتحرر الشعب الفلسطيني من الإحتلال الإسرائيلي .

أعلن الدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري، المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ـ إيسيسكو ـ، في محاضرة له ألقاها في مركز الرابطة الإسلامية في الدانمارك في العاصمة كوبنهاجن، أن التواصل الحضاري، هو ثمرة حوار الثقافات وتقاربها، وهو مفهوم يعزز المفاهيم الحديثة للتعايش بين الشعوب على أساس متين من القيم المشتركة المستوحاة من مبادئ الأديان السماوية والشرعية الدولية، وهو تعبير عن مستويات رفيعة

من التعايش والتفاهم والاحترام المتبادل بين الشعوب، موضحًا أن التواصل باعتباره تفاعلاً، هو تبادل الوصل (لا القطع) بين طرفين، بحيث يصل كل طرف إلى الطرف الذي يقابله أو يرغب في الاقتراب منه والتعاون معه.

وأوضح أن التواصل الحضاري بهذا الاعتبار، يستند إلى الرصيد المشترك بين الثقافات والحضارات، والقيم والمبادئ المشتركة بين الأمم والشعوب، وينبثق من الإرادة الجماعية والرغبة المتبادلة والإحساس المشترك بالحاجة إليه.

وقال في المحاضرة التي ألقاها باللغة الإنجليزية : «نحن من المؤمنين بفكرة التواصل الحضاري الناتج عن الحوار والتقارب بين الثقافات والمفضي إلى التحالف بين الحضارات الذي نولي له قدرًا كبيرًا من اهتمامنا. كما أننا من الداعين إلى تدعيم التفاهم بين الشعوب من خلال استثمار الرصيد الثقافي الإنساني لتعزيز هذا التحالف.

وكما كنا خلال السنوات التسع الماضية من العاملين على الصعيدين الإقليمي والدولي، لتعزيز الحوار بين الثقافات، سنواصل العمل في هذا المضمار، مع شركائنا في المنظمات الدولية والعربية الإسلامية، للتبشير بها في المحافل، ولإشاعة ثقافة التواصل الحضاري والتحالف الحضاري حتى تَتَكامَلَ مع ثقافة السلام، إيمانًا منّا بأنّ الإنسانية اليوم في أشدّ الحاجة إلى من يُزيل من أمامها ركام القرون الماضية التي ساد فيها سوء

التفاهم، وعمَّت فيها الكراهية بين الأمم والشعوب، وقامت الحروب والنزاعات المدمرة التي كان الجميع ضحيةً لها».

وأشار إلى أن التواصل الحضاري والتحالف بين الحضارات لن يكون لهما مردودية تنفع الجميع، ما لم يقوما على أساس الاحترام المتبادل، ويتمّا تحت مظلّة ميثاق الأمم المتحدة، والإعلان العالمي لحقوق الإنسان، والمواثيق والأوفاق والإعلانات والعهود الأخرى التي هي القاعدة العريضة للقانون الدولي.

وقال إن هذا يقتضي أن تكفَّ الجهات التي تمارس العدوان على حقوق الشعوب في تقرير مصيرها، عن ممارساتها المنافية للشرعية الدولية، وأن تنتهي الإنتهاكات المتكرّرة لحقوق الإنسان في أكثر من بلد، وأن يكون السعي من أجل استصدار قرار من الجمعية العامة للأمم المتحدة بتجريم ازدراء الأديان والمساس بالمقدسات الدينية، هدفًا مشتركًا تَتَضافَرُ جهود المجتمع الدولي من أجله.

وأضاف قائلاً: «إنّ الممارسات التي تَتَعارَضُ مع القوانين الدولية، تشكّل عائقًا أمام التواصل والتحالف بين الحضارات، ولذلك يتعيَّن أن يكون التنديد الجماعي بهذه الممارسات والسياسات التي تسير في هذا الاتجاه المضاد لأهداف التحالف، ممّا يهتمّ به العاملون في هذا المجال».

وأكد على ضرورة الاستثمار الجيّد والمدروس بروح إنسانية، للرصيد الثقافي المشترك بين الحضارات، تعميقًا للتواصل بينها.

وقال إن من شأن هذا الإستثمار أن يبدّد غيوم الشّك وسوء الفهم، وأن يمهد السبيل إلى التفاهم العميق، وإلى الإعلان عن الرغبة المشتركة في التعايش، مشيرًا إلى أن التعايش السلمي ذا المنزع الثقافي والحضاري، هو المدخل إلى الحوار والتقارب، ثم إلى التحالف بين الحضارات.

وأعرب عن اعتقاده أن الرصيد الثقافي المشترك بين العالم الإسلامي وأوروبا تحديدًا، يشكّل بكلّ المقاييس وجميع الإعتبارات، مصدرًا للثراء الفكري الذي يُلهمنا الحكمةَ والسّداد، ويجنّبنا الوقوعَ في المزالق التي تعترض الطريق أمام المؤمنين بالتواصل والتحالف بين الحضارات والعاملين من أجل تعزيزه ونشر ثقافته في الآفاق.

وقال: «إن فكرة تخدم المبادئ الإنسانية وتعزّز جهود المجتمع الدولي من أجل استتباب الأمن والسلم الدوليين وإشاعة ثقافة العدل والسلام، تصبُّ في قناة ثقافة التحالف بين الحضارات، وكلّ مسعى يقوم به فرد أو جماعة، في سبيل التقارب والتواصل والتعاون والتعايش بين أمة وأخرى أو شعب وآخر، فإنه يُفضي لا محالة إلى تعزيز التحالف بين الحضارات، لأنه يلتقي مع أحد الأهداف المتوخّاة منه».

وأضاف: «إذا كان التواصل الحضاري مصدره التفاهم والاحترام المتبادل، فإنّ التحالف هو الإتفاق بين طرفين على أن يتحالف كل طرف منهما مع قرينه، بأن يكون كل طرف حليفاً

للآخر، ويترتَّب على ذلك أن ينشأ بينهما حلفٌ ناتج عن هذا التحالف، مشيرًا إلى أن اتفاق مجموعة من البشر ينتمون إلى حضارات مختلفة، على أن يتحالفوا حضاريًا ويتفاهموا ثقافيًا، ويقيموا فيما بين حضاراتهم الأصلية تحالفًا، يستتبع إنشاء حلف حضاري يجمع بينهم، لأن الإختلاف طبيعة الحياة، والتنوّع الحضاري والثقافي سنة الكون ـ ويوفر لهم إطارًا للعمل الجماعي الذي يخدمون به الأهداف الإنسانية النبيلة، ويحقّقون طموحًا فطريًا يملأ نفوس البشر جميعًا، في الإستقرار والسلام، وفي الرخاء والوئام، وفي صياغة حضارةٍ إنسانية جديدة ».

وقال إن التواصل الحضاري الذي هو أساس التحالف بين الحضارات من وجهة النظر العملية، هو من أقوى الوسائل المتاحة لإصلاح شؤون العالم، وللإسهام في إنقاذ الأسرة الإنسانية مما تتخبط فيه من مشكلات تَتَراكَمُ وأزمات تَتَفاقَمُ، فشلت السياسة الدولية حتى الآن، في إيجاد تسوية عادلة وحلول حاسمة لها بالدبلوماسية التقليدية، وبالأساليب الاعتيادية التي تفتقر إلى الصدق والجدّية والإخلاص، وتفتقد الروحَ الإنسانية.

واستطرد الدكتور عبد العزيز التويجري قائلاً: «إنّ تجديد البناء الحضاري للعالم أجمع، بالتواصل الحضاري، وبالتحالف بين الحضارات، لا بالحوار فقط، وبالتعاون المثمر بين الأمم والشعوب، على هدي تعاليم الديانات السماوية والمبادئ الإنسانية، وفي إطار ميثاق الأمم المتحدة، هو المهمة الرئيسَة لأولي العزم والحكمة وذوي الإرادات الخيّرة والعقول النيّرة من مختلف

المشارب والاتجاهات، ومن جميع الحضارات والثقافات، لبناء مستقبل آمن ومزدهر، لا تُنتهك فيه كرامة الإنسان ولا تهدر حقوقه، ولا يطغى فيه القويّ على الضعيف، إنما يحتكم فيه الجميع إلى القانون، وتسوده قيم التعايش والتسامح والمواطنة الإنسانية ».

وأشار إلى أنّ لتواصل الحضارات وتحالفها غاياتٍ نبيلةً تستحق أن يضحي من أجلها العاملون بإخلاص من أجل الخير العام لبني البشر، تشمل احترام التنوع الثقافي والديني والعمل على استتباب الأمن والسلام، ومحاربة الفقر والأمراض الفتاكة والجريمة المنظمة والإرهاب بكلّ أشكاله، واستغلال الإنسان وحرمانه من حقوقه، وقهر إرادة الشعوب ومنعها من التمتع بحريتها واستقلالها، وتجارة المخدرات، والإتجار في الجنس، وإشاعة الكراهية والعنصرية والتفوّق العرقي، وصنع أسلحة الدمار الشامل، وسوء استغلال الهندسة الوراثية باستخدامها في الأغراض المنافية للفطرة الإنسانية وللقيم الأخلاقية.

وقال المدير العام للإيسيسكو إن الإنسانية لم تكن في مرحلة من مراحل التاريخ أشدَّ حاجةٍ إلى تعزيز التواصل والتحالف بين الحضارات منها اليوم، بعد أن تصاعدت موجة السياسات المناهضة للتواصل الحضاري وللحوار بين الثقافات، والرافضة للتحالف بين الحضارات، والمتعارضة مع قيم التسامح والتفاهم والتعايش بين الأمم والشعوب والاحترام المتبادل بين الأفراد والجماعات الإنسانية، ومع أصول التعاون بين الدول، على الرغم

من مضي أربع وستين سنة على إنشاء منظمة الأمم المتحدة، ومضيّ إحدى وستين سنة على صدور الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

واستدرك قائلاً: «ولكن مع اقتناعنا بأهمية تركيز الجهود على تعزيز الحوار والتواصل والتحالف بين الحضارات والثقافات، في هذه المرحلة الدقيقة من تاريخ البشرية، نرى أن ضرورات استقرار العلاقات بين العالم الإسلامي والغرب **تقتضي رفع الحيف عن الشعوب الإسلامية، والكف عن عرقلة جهودها التي تبذلها لاكتساب المعرفة العلمية والتقانية ولممارسة حقها في امتلاك شروط القوة العلمية والقدرات التقانية في المجالات كافة، وعدم الوقوف في وجهها لمنعها من إقامة أسس الحياة السياسية السليمة التي تكفل لها أن تعيش في أجواء السلام الاجتماعي، والوئام المدني، والانسجام الثقافي، والتعايش السياسي، والتعاون لما فيه الخير للمواطنين كافة، دون تفرقة بين هذا المواطن أو ذاك**».

وأعلن المدير العام للإيسيسكو أن العالم الإسلامي، ممثلاً بمنظمة المؤتمر الإسلامي، يُعدُّ كتلة حضارية للحوار والتواصل بين الحضارات، تتطلع إلى المستقبل وتستند إلى قيم بانية للإنسان وللحضارة. وهي بذلك قوة لبناء السلام، وللتعايش والتواصل بين الحضارات والثقافات. وذكر أن الغرب ليس خصمًا، لأن الحضارة الغربية حضارة إنسانية هادفة وبانية، ولأن الذين يسعون إلى أن تكون هذه الحضارة في مواجهة صدامية مع الحضارة

الإسلامية، يحرفون التاريخ، ويزيفون الحقائق، ويسيرون في الاتجاه المعاكس لإرادة الأسرة الدولية.

وقد تبيّن انتماؤهم العقائدي، وانكشفت حقيقتهم التي طالما أخفوها بجدار من الشعارات الخادعة والوعود الكاذبة.

وقال إنّ ازدهار مستقبل العالم يتوقف على مدى تحسّن العلاقات بين العالم الإسلامي والغرب من النواحي كافة، وإن الحرص على سلامة هذه العلاقات وضمان حمايتها من الهزات، ومن مخاطر الاندفاع الأهوج، ومن تقلبات السياسة الارتجالية، مسؤولية مشتركة بين جميع الأطراف. وأضاف إن العالم الإسلامي حريص أشدّ الحرص، على تنمية هذه العلاقات وتطويرها والدفع بها إلى الأمام، حرصَه على الاضطلاع بمسؤوليته كاملة في هذا المجال، لإيمانه بالمبادئ والقيم السامية، ولتشبثه بالقانون الدولي، ولوفائه بالتزاماته تجاه الأسرة الدولية، ولانتهاجه سياسة الاعتدال والوسطية والواقعية في علاقاته الدولية.

وأوضح الدكتور عبد العزيز التويجري أن حماية العلاقات بين العالم الإسلامي والغرب من الاهتزاز، تخدم مصالح شعوب العالم، ولا تخدم مصالح الشعوب الإسلامية وشعوب الدول الغربية فحسب، وأن من مصلحة المجتمع الدولي بصورة عامة، أن تتضافر جهوده لإبعاد المخاطر التي تهدد هذه العلاقات بالأزمات، مبرزًا مسؤولية الأمم المتحدة في المقام الأول، ومسؤولية الدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الأمن، والاتحاد الأوروبي،

وموضحًا أن اضطراب هذه العلاقات، بأي شكل من الأشكال، يزعزع استقرار الأسرة الدولية، ويتسبّب في اضطراب الأوضاع العالمية بصورة واضحة.

وقال إن العالم الإسلامي والغرب محكومٌ عليهما بالحوار، وبالتقارب، وبالتواصل، وبالتعايش، وبحماية المصالح المتبادلة، وبالسعي المشترك لإقرار الأمن والسلم في العالم، وبإقامة الجسور لا بهدمها، وبنشر قيم العدل والحق والوئام، وبمحاربة التطرف لدى الطرفين، بالبناء المشترك للسلام العالمي. وتلك هي الطريق إلى المستقبل الذي تتحالف فيه الحضارات ولا تتصارع.

واختتم المدير العام للإيسيسكو محاضرته بقوله: «**إن حوار الثقافات وتواصل الحضارات وتحالفها لن يكون ذا موضوع، ما لم يتحرك المجتمع الدولي ليتحمل مسؤوليته إزاء الوضع المتردي في الأراضي الفلسطينية**.

وكذلك لن يكون للكلام الذي نطق به الرئيس الأمريكي أمام البرلمان التركي وفي جامعة القاهرة بخصوص علاقة الولايات المتحدة الأمريكية بالعالم الإسلامي، أي مدلول واقعي، ما لم تقم الإدارة الأمريكية في عهدها الجديد، بما يفرضه عليها الدستور الأمريكي وميثاق الأمم المتحدة ومبادئ حقوق الإنسان والقانون الدولي، من واجبات تجاه إحلال الأمن الكامل والسلام العادل في الشرق الأوسط، **وحتى يتحرر الشعب الفلسطيني من الإحتلال الإسرائيلي**».